

دراسة مقارنة بين جبران خليل جبران ومikhail نعيمه أطروحة لشهادة الدكتوراه

يقدمها

محمد علي أسكر. كي

المشرف

الدكتور محيي الدين كوتي. أي.

ب.ب.

(محاضر، قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت)

جامعة كاليكوت

كيرالا، الهند

يناير، 2008

المحتويات

Certificate

This is to certify that the dissertation on “A Comparative Study of Gibran Kahlil Gibran with Michael Naimy” submitted for the Ph.D final examination of the University of Calicut, is a bonafide record of research carried out by Mr. Mohammed Ali Askar K. under my supervision and that no part of this thesis has hitherto been submitted .for any degree in any University

Dr. A.B Moideen Kutty
(Supervising Teacher)

Calicut University Campus
14-01-2008

Declaration

I Mohammed Ali Askar K. hereby declare that the dissertation on “A Comparative Study of Gibran Kahlil Gibran with Michael Naimy” has been written by me under the guidance of Dr.A.B. Moideen Kutty, Lecturer, Dept. of Arabic, University of Calicut, for the final examination of Ph.D in Arabic.

I also declare that the dissertation is the result of my own effort and has not been submitted for any degree in any other University before.

Mohammed Ali Askar.K

Calicut University Campus

.14-01-2008

الموضوع

الصفحة

مقدمة

1

كلمة الشكر

11

الفصل الأول : أدب المهجر

12

الباب الأول : حركة المهجر

13

الباب الثاني : البواعث التي أدت إلى الهجرة

15

الباب الثالث : أثر المهجرة في الأدب

17

الباب الرابع : الرابطة القلمية

22

الباب الخامس : مبادئ الرابطة القلمية

33

الفصل الثاني : جبران خليل جبران

37

الباب الأول : حياة جبران خليل جبران

38

الباب الثاني : شخصية جبران خليل جبران

55

	الباب الثالث :المبارزة في شخصية جبران خليل جبران	
		59
	الباب الرابع : أسلوب جبران	
		63
	الباب الخامس : الرومانتيكية في أدب جبران	
		72
73	الثورة	
76	الغربة	
	الليل	
		76
77	الطبيعة	
78	الحزن والكآبة	
	الباب السادس : المرأة وجبران	
		79
	الأم	
		80
82	ماري هاسكل	
	مى زيادة	
		84
	حلا الضاهر	
		87
	أميلي ميشيل	
		88
90	ماريانا	
	الباب السابع : فريدريك نيتشه وجبران	
		91

فريدريك نيتشه

		91
	الباب الثامن : النبي لجبران وزرادشت لنيتشه	
		98
	الباب التاسع : النبي	
		104
	الباب العاشر : أهم مؤلفات جبران	
		110
	الموسيقي	
		110
	الأرواح المتمردة	
		116
	دمعة وابتسامة	
		122
124	المجنون	
125	المواكب	
	العواصف	
		129
132	السابق	
	البدائع والطرائف	
		132
	رمل وزيد	
		132
	يسوع ابن الإنسان	
		133

آلهة الأرض	133
التائه	134
حديقة النبي	134
الفصل الثالث : ميخائيل نعيمة	136
الباب الأول : حياة ميخائيل نعيمة	137
الباب الثاني : الأدب عند نعيمة	141
الباب الثالث : الأديب في رأي نعيمة	144
الباب الرابع :النقد عند نعيمة	146
الباب الخامس : الغربال	148
الباب السادس : إيمانه بالله	152
الباب السابع : أهم مؤلفات ميخائيل نعيمة	158
الفصل الرابع : جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة	169

	الباب الأول : آراء جبران ونعيمه في الشعر	
		170
	الباب الثاني : النزعات الصوفية عند جبران ونعيمه	
		174
174	التصوف	
	العناصر الصوفية في جبران	
		176
	العناصر الصوفية في نعيمه	
		182
	الباب الثالث : نبي جبران ومرداد نعيمه	
		188
189	المحبة	
	المحبة بين المرأة والرجل	
		194
196	الصلاة	
	الباب الرابع : اعتقاد جبران ونعيمه في التقمص	
		198
204	الخاتمة	
	المراجع	
		209
	المراجع العربية	
		209
	المراجع الإنجليزية	
		214
	المراجع المليالمية	
		217

كلمة الشكر

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الأطروحة

موضوع 'دراسة مقارنة بين جبران خليل جبران نعيمه'. وفي هذه المناسبة يشرفني أن أقوم أولاً بالتعبير عن بالغ شكري وعظيم تقديري للأستاذ الدكتور ب. محيي الدين كوتي، محاضر في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت، كيرالا، الهند، الذي ساعدني بإشرافه القيم لإعداد هذا البحث، حيث أرشدني إلى الطريق الصحيح والنهج القويم في اكمال هذه الأطروحة البحثية. كان يبذل أوقاته النفيسة لتصحيح كتابتي وأفكاري كما كان يشرفني بإرشاداته الأخرى الثمينة. وأشكر ثانياً للأستاذ الدكتور أن. أي. أم. عبد القادر، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت الذي بالتسهيلات اللازمة والتعليمات المناسبة لإكمال هذا البحث.

وممن أواجههم بشكري الخالص من أعماق الدكتور سيد احتشام أحمد الندوي، أستاذ ورئيس قسم العربية سابقاً بجامعة كاليكوت الذي اقترح علي هذا الموضوع وزودني بالإرشادات القيمة، والأخ زبير ب.، محاضر الحكومية بكويلاندي، وأستاذ أن. أم. عبد الله، محاضر الكلية مهاراجاس بايرناكولام، والأخ عبد الرؤوف ودتلا، الذي

**بطباعة هذه الأطروحة على الكمبيوتر في مدة قصيرة بكل
عناية ودقة.**

وأدعو الله للجميع بالخير والتوفيق.

محمد علي أسكر.

Mohammed Ali Askar, K. “A Comparative study of Gibran Kahlil Gibran with Michael Naimy”. Thesis, Department of Arabic, University of Calicut, 2008

مقدمة

إن الحمد والشكر لله الذي يرحم علي ويغفر
وأهدى إليه هذه الأطروحة.

أما بعد، فلما أردت أن أتابع دراستي كباحث في
كاليكوت لنيل شهادة الدكتوراه خطر ببالي موضوعات حول
الأدباء في العصر الحديث، الذين ساهموا مساهمة عظيمة
في إثراء اللغة العربية وأدبها الجميل الرائع، فتم
موضوع ' دراسة مقارنة بين جبران خليل جبران وميخائيل
نعيمه ' لوجوه.

إن جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه رائدان عظيمان
في الأدب العربي الحديث، لأنهما مؤسسا حركة
اللغة العربية في أمريكا، المشهور بـ 'الأدب المهجري'
نشأ وتطور في القرن العشرين الميلادي، وهما
مدرسة أدبية رومانتيكية المعروفة بـ 'الرابطة
ويمتاز هذان الأديبان بخصائصهما وفلسفتهما وطرز
فكرتهما وأسلوبهما الأدبي الرائع.

ونرى الأدباء والنقاد كتبوا عن الأدب المهجري فأكثر
وأجادوا، لكن لا نرى أية محاولة عندهم

وموازنة بين هذين العملاقين العظيمين لا يضاح شخصيتهما
 وفلسفتهما وأسلوبهما. وإني أريد أن أسلط الضوء على أدب
 جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وشخصيتهما، لكي
 خصائصهما وطراز فكرتهما إيضاحا جليا. وأرى في شخصية
 جبران خليل جبران شخصية ممتازة، لها خصائصها ومزاياها.
 كتب جبران كثيرا، ورسم كثيرا، وكان ما كتبه ورسمه
 من الجمال والحكمة لآلاف الناس. تناول جبران خليل جبران
 عديدا من الأشكال الأدبية، أو الأجناس الأدبية، مارس الكتابة
 فيها جميعا، مثل القصة، والمقال، والمسرحية، والحكمة
 الرمزية، كما كتب الشعر الموزون المقفى، والشعر المرسل
 الخالي من الوزن أو القافية.

وأنه قد تفكر عميقا عن الكون والحياة والموت
 والأحزان والأفراح. إن في أعماق جبران خليل جبران نفسا
 تطمع إلى الجديد المفيد، ووتنفر من كل تقليد بليد،
 يكتب إلا ما يعتقد حقا وصوابا، ولذلك تأتي كتابته مرآة
 تعكس شخصية كبيرة تأبى أن تتقيد بقيود الماضي. وله
 طريقة في الحياة وطريقة في الفن،
 وطريقة في التفكير، وطريقة في الأسلوب تختلف من
 طريقة ميخائيل نعيمة في هذه المجالات.

وكذلك نجد شخصية ميخائيل نعيمة تختلف من شخصية جبران ، وكذلك في أسلوبه الأدبي. لأن أسلوب جبران جبران ينفرد ويمتاز من حيث البلاغة والحلاوة والانسجام وما إلى ذلك. فإن الذوق الأدبي أو الذوق الشعري غالب على جبران . فإن نثره شعر منشور، وأما نثر ميخائيل نعيمة جميل أدبي مملوء بالفصاحة والبلاغة الألفاظ الجميلة، ولكنه أقل شعرية من جبران لأن أسلوبه يقال ' البلاغة الجبرانية'.

ومع هذه الاختلافات والامتازيات بين شخصيتهما وأسلوبيهما، نجد مشابهة في فكرتهما وفلسفتيهما. اتسعت فكرتهما بصفة عميقة عن الموت والحياة والكون وفلسفة الأحران والأفراح، وعن خلق السماوات والأرض والجبال والنجوم وعن الحب والعشق والغرام وعن أثر الحب في الإنسان، وعن الدين والنصرانية. وفي الحقيقة أن النصرانية غالبية في فكرتهما وفلسفتيهما. وتمتاز فكرتهما عن شخصية عيسى بن مريم، وتظهر شخصية ' يسوع ' عندهما القصص والحكايات وتعليمات الرهبان والقصيصين. وفرقا بين الصالح والطالح. فوجدا شخصية عيسى بن مريم شخصية انسانية نقية صالحة ناضجة بيضاء لا تمتزج بها الألوهية. لأن

الإنسانية والإنسان هما الأصل عندهما وعيسى رجل عظيم وفيه المثل الاعلى لجميع الإنسانية. في هذه جبران كتابيه ' النبي ' و ' يسوع ابن الإنسان ' . وكذلك ألف ميخائيل نعيمة كتابه ' مرداد ' على غرار ' النبي ' لجبران. ونجد في فكرتهما ونظريتهما في الكون والحياة والموت مشابهاة تامة.

ولهذه الوجوه اخترت هذا الموضوع لدراسة وبحث جامعي ليتيسر به لأهل اللغة وطلبة الأدب العربي أن يفهموا هذين الرائدین العبقريين ويستفيدوا منهما دراسة أدبيهم العربي. وقد قسمت هذه الأطروحة لشهادة الدكتوراه، بعد المقدمة إلى أربعة فصول رئيسية. ولكل فصل باب يدل على محتوياته، وجديرا بالذكر أن كل من الأبواب يعتبر في ذاته بحثا مستقلا، يصلح أن يكون وجيزة تدل على أهمية الموضوع. وبعد هذه الفصول الأربعة قد ضمنت إليها مقالة أخرى هي خاتمة البحث.

عناوين الفصول والأبواب:-

الفصل الأول	:	أدب المهجر
الباب الأول	:	حركة المهجر
الباب الثاني	:	البواعث التي أدت إلى الهجرة
الباب الثالث	:	أثر المهاجرة في الأدب

الرابطة القلمية	:	الباب الرابع
مبادئ الرابطة القلمية	:	الباب الخامس
جبران خليل جبران	:	الفصل الثاني
حياة جبران خليل جبران	:	الباب الأول
شخصية جبران خليل جبران	:	الباب الثاني
المبارزة في شخصية جبران	:	الباب الثالث
		خليل جبران
أسلوب جبران	:	الباب الرابع
الرومانتيكية في أدب جبران	:	الباب الخامس
المرأة وجبران	:	الباب السادس
فريدريك نيتشه وجبران	:	الباب السابع
النبي لجبران وزرادشت لنيتشه	:	الباب الثامن
النبي	:	الباب التاسع
أهم مؤلفات جبران	:	الباب العاشر
ميخائيل نعيمة	:	الفصل الثالث
حياة ميخائيل نعيمة	:	الباب الأول
الأدب عند نعيمة	:	الباب الثاني
الأديب في رأي نعيمة	:	الباب الثالث
النقد عند نعيمة	:	الباب الرابع
الغربال	:	الباب الخامس
إيمانه بالله	:	الباب السادس
أهم مؤلفات ميخائيل نعيمة	:	الباب السابع
جبران خليل جبران وميخائيل	:	الفصل الرابع
		نعيمة
آراء جبران ونعيمة في الشعر	:	الباب الأول

الباب الثاني : النزعات الصوفية عند جبران ونعيمه

الباب الثالث : نبي جبران ومرداد نعيمه

الباب الرابع : اعتقاد جبران ونعيمه في التقمص الخاتمة

الفصل الأول يناقش الجوانب المختلفة والمتعلقة بأدب

المهجر وفيه خمسة أبواب، الباب الأول يبحث المهجر وعن أهميتها في الأدب العربي الحديث، كان العربي قبل حركة المهجر أسير التقليد والصنعة، ولكن في أوائل القرن العشرين تمرد بعض أبناءه في راد طريق وفي ترك طريق قديم.

والباب الثاني يسلط الضوء على العناصر التي أدت الهجرة، وفي هذا الباب قد حاولت أن أحلل الاجتماعية في النصف الأول من القرن التاسع عشر في العرب وسياسة الأتراك وغير ذلك.

والباب الثالث يفسر عن أثر المهاجرة والباب يقول عن بعض العوامل التي جاءت كنتيجة المهاجرة ونزعات نفسية مثل حب الحرية اللغوية، وكل هذه العوامل تفسر عن روح الأدب وروح الأديب حينما تثير المهاجرة

الأبابة في نفوس الأدباء والأدب معا. والباب الرابع يعالج جميع جوانب الرابطة القلمية من تأسيسها وغرضها. ويفسر كيف يتشابه هذه الحركة الأدبية الأوروبية. وهذه الحركة الأدبية نقطة التحول العربي الحديث. وهذا الباب يقول لنا عن قوانين الرابطة القلمية وعن عميدها جبران وعن مستشارها ميخائيل نعيمة. وهكذا قد حاولت في هذا الباب أن أقول بعض الكلمات الدكتور طه حسين وآرائه عن الرابطة القلمية. والباب الخامس يناقش مبادئ الرابطة القلمية ويشير إلى أمرين أساسيين أولهما التأثير العام بالتيارات الأدبية الغربية امتصاص الغربية جزئيا او كلياً.

والفصل الثاني يناقش عن الأديب المشهور والفنان الكبير جبران خليل جبران وفيه أبواب. الباب الأول يقول عن حياة جبران خليل جبران. وقد حاولت في هذا الباب أكتشف بيئة جبران خليل جبران التي قد سببت في جبران الأديب والفنان. وهذا الباب يسلط الضوء على أسرة جبران وهجرة الأسرة إلى أمريكا وحياة جبران في بوسطن ونيويورك وبعض الأشخاص الذين تعلق حياتهم جبران. وهذا الباب يتحدث عن التفاوت المادية والروحية

التي وقعت في حياة جبران. والباب الثاني يحاول أن يفسر شخصية جبران. لأن تحليل شخصية الأديب والفنان لها أهمية كبيرة في دراسة أدبه وفنه. فنفهم جيدا آراءه وفلسفته وعقيدته. ونعرف كيف تختلف حياته الفنية أو الأدبية وحياته اليومية. وقد حاولت أن أحلل في هذا الباب كيف تعكس جبران في شخصيته وشخصيته في أدبه.

الباب الثالث يعالج المبارزة في شخصية جبران جبران. واعتقد أن لهذا الباب أهمية كبيرة لأنه في كل إنسان شخصيتان ولو كان فنانا أو إنسانا عاميا. والشخصية الأولى تختلف من الشخصية الثانية. وهذه المبارزة نرى في والفنان غالبا. وهذا الذي قد رأيت في شخصية جبران. وقد ساعدتني أقوال ميخائيل نعيمة، صديق جبران، كثيرا تأليف الباب.

وفي الباب الرابع حاولت أن أدرس أسلوب جبران خليل جبران وكيف يميز إنشائه وبلاغته من سائر أدباء وكتابهم. وقد حللت في هذا الباب أقاصيص جبران وأشعاره التي لا تزال دليلا لأسلوب جبران وبلاغة جبران. وفي الباب قد فكرت عن جبران وعن قوته الأدبية في اتخاذ القصة او الموضوع.

الباب الخامس يناقش عن الرومانتيكية في أدب جبران.

وهذا الباب يبحث عن معظم القواعد والموضوعات قامت عليها الرومانتيكية الغربية مثل الثورة والغربة والأمل والطبيعة والليل والحزن والكآبة وغيرها. ثم يوازن جبران حسب هذه القواعد والموضوعات. الباب السادس يدل عنوانه، يقول عن المرأة وجبران. وقد قيل أن وراء عبقرى امرأة تؤيد روحه وتسلى قلبه. وحينما نحلل جبران نرى كثيرا من النساء اللاتي أثرن حياته المادية والروحية وسأيرته النساء تحت أسماء مختلفة والأخت والحبىبة والصدىقة وغيرها. وفي الباب السابع حاولت أن أدرس فريدريك نيتشه وتأثيره فى أدب وشخصيته. وهذا الباب يضم عنوانين رئيسين هما فريدريك نيتشه ونيتشه وجبران : دراسة تحليلية. والباب يتكلم تأثر الفيلسوف نيتشه فى حياة جبران الروحية والمادية. وفي الباب الثامن حاولت أن أقارن بين 'النبي' لجبران جبران وبين كتاب 'هكذا يتكلم زرادشت' لفريدريك نيتشه من ناحية القالب والفلسفة. فعرفت كيف يختلف ويتشابه جبران فى نظرياته مع نيتشه وكيف فلسفة جبران.

الباب التاسع يعالج كتاب جبران 'النبى' وميزة هذا الكتاب وعن الآراء والفلسفة التي يعطيها لنا هذا الكتاب. وجدير بالذكر أن هذا الباب يلقي الضوء على اعتقاد جبران خليل جبران في تناسخ الأرواح. وفي الباب العاشر حاولت أن اكتب مذكرات وجيزة عن أهم مؤلفات جبران الموسيقي، و 'عرائس المروج' و 'الأرواح المتمردة' 'الأجنحة المتكسرة' و 'دمعة وابتسامة' و 'المواكب' و 'العواصف' و 'السابق' و 'البدائع والطرائف' و 'رمل وزيد' و 'يسوع ابن الإنسان' و 'آلهة الأرض' و 'حديقة النبي'.

الفصل الثالث يدور حول الكاتب المشهور وفيلسوف العرب ميخائيل نعيمة. وفيه أبواب. الباب الأول ينشر الضوء على حياة ميخائيل نعيمة ويعطي لنا مذكرة وجيزة الكاتب وعن أسرته وعن دراسته وعن هجرته إلى الروسية وأمريكا وغير ذلك. وفي الباب الثاني حاولت أن أكتشف نعيمة في الأدب. وكان يعتقد أن الأدب وسيلة لتعبير تثيره في نفس الإنسان. والباب الثالث يدور حول بحث هو الأديب في رأي نعيمة. والباب الرابع يقول عن النقد نعيمة حيث أن ميخائيل نعيمة قد قدم منهاجا

الأدب العربي. والباب الخامس يبحث عن 'الغربال' الكتاب النادر في الأدب العربي الحديث خاصة في نقد الأدب . وقد عرض نعيمه آراءه في وظيفة الناقد. وفي السادس حاولت أن أكتشف إيمان نعيمه بالله بواسطة أعماله الأدبية. والباب السابع محاولة لتقديم أهم مؤلفات ميخائيل نعيمه من ناحية الأسلوب والمضمون.

وفي الفصل الرابع حاولت أن أبذل جهدي في مقارنة جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه في آرائهما واعتقادهما وفلسفتهما. وفيه عدة أبواب. الباب الأول يقول عن جبران ونعيمه في الشعر. وفي الباب الثاني حاولت أن عن النزعات الصوفية عند جبران وميخائيل نعيمه. أولا قد بحثت عن النزعات الصوفية في جبران ونعيمه. وقد أثرت هذه التيارات الروحية كثيرا في شخصية جبران وأدبهما وفنهما.

والباب الثالث يحاول أن يدرس كتاب 'النبي' لجبران خليل جبران وكتاب 'مرداد' لميخائيل نعيمه. وهذا الباب يقول كيف يتشابه 'نبي' جبران ب'مرداد' نعيمه. وفي مجال يختلف هذان الكاتبان. والباب يقارن آراء جبران ونعيمه في المحبة، والمحبة بين المرأة والرجل، والصلاة. والباب

الرابع يتناول موضوع اعتقاد جبران ونعيمه في التقمص وتناسخ الأرواح. وفي هذا الباب حاولت أن أدرس التقمص. وقد اعتمدت الكتب الهندوكية مثل 'فيدا' و'بغودا' و'بغوث غيدا'. لأن أساطير الهندوكية قد منحت شديدا لهذه العقيدة أكثر من سائر أساطير العالم. وتنتهي هذه الفصول بهذا الباب.

وبعد هذه الفصول الأربعة تجيء خاتمة البحث. حاولت أن أخلص آرائي عن جبران خليل جبران نعيمه. وأعتقد أنني قد بذلت جهدي أن أكون مخلصا في بحثي حسب طاقتي. والقراء هم الحكماء أن يحكموا محاولتي هذه، في أي مكان زلت قدمي وفي أية كلمة خطأ لساني.

ولا بد لي، قبل الفراغ من كلمتي هذه، أن أروي جبران هي:

" في موجة الجزر كتبت سطرًا واحدًا
وأعطاه كل قلبي وكل روحي.

في مد الفيضان رجعت لأن أقرأ ما كتبت،
جهلي عن الشاطئ..."¹

¹ ,Spiritual Sayings of Khalil Gibran, Edited by Antony Rizcallah Ferris, London Bantam Books, 1970, P. 18

ربما يجد الدارس القادم بعدي أمورا جديدة كثيرة أكثر
وأعظم مما وجدت بمحاولتي هذه.

وأعتقد أن هذه الأطروحة إلا سطرًا واحدًا الذي
على شاطئ البحر. وأنتظر مد الفيضان الذي يهديني إلى
الحق والحقيقة.

هذا، وأرجو من القراء الكرام أن ينظروا
الأطروحة بعين العناية وأن يرشدوني إلى الصواب لو أطلعوا
على أي خطأ أو أي نقصان. والله لا يضيع المحسنين
الله أن يرحمنا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

محمد علي أسكر

جامعة كاليفورنيا

محرم 1429 / يناير 2008

Mohammed Ali Askar, K. “A Comparative study of Gibran Kahlil Gibran with Michael Naimy”. Thesis, Department of Arabic, University of Calicut, 2008

الفصل الأول

أدب المهجر

- الباب الأول : حركة المهجر
- الباب الثاني : البواعث التي أدت إلى الهجرة
- الباب الثالث : أثر المهاجرة في الأدب
- الباب الرابع : الرابطة القلمية
- الباب الخامس : مبادئ الرابطة القلمية

الباب الأول

حركة المهجر

ليس من العجب أن نقول
 نقطة التحول في الأدب العربي الحديث، كان الأدب
 العربي قبل حركة المهجر أسير التقليد والصنعة. ولكن
 في أوائل القرن العشرين تمرد بعض أبنائه
 طريق جديد وفي ترك طريق قديم سئم لتكرار
 وهؤلاء جماعة من الشبان العرب الذين تركوا وطنهم
 الأم فراراً من الفقر وبطش الحكام في
 والاستبداد وطلبوا إلى مجد جديد أو عيش رغيد فنزحوا
 إلى أمريكا وانتشروا في شمالها وجنوبها يبحثون
 حياة جديدة في الدنيا الغربية. وعاشوا على شاطئ
 الحياة المادية مع الآخرين الأجبيين يختلفون
 ولونا ولغة وثقافة وأدباء وقاسوا شدائد متنوعة وآلاما
 كثيرة في هذا العالم الجديد ومن أجل هذا
 قلوبهم الروح العربية.

وقد تمتع الشعراء المهجريون بالحرية في
 لكنهم كانوا يعيشون في عزلة إلى حد ما. لقد مر هؤلاء

الشعراء في بلدهم الجديد بتجارب قاسية ، فغلبهم الشوق والحنين إلى وطنهم وواجهوا عالما مختلفا الاختلاف عما كانت عليه مدارس الإرساليات المسيحية من قبل بلبنان وسوريا ونعموا بالحرية في بلد بالحركة والتغير المستمر.

وأحسن هؤلاء الشبان العرب بالحاجة إلى التعبير عن العالم الداخلي. وثار في نفوسهم فكرة الثورة أدبهم العربي في ألفاظه وأشكاله واستعاراته. ونجحوا في استخدام أسلوبهم الجديد، ولم يكن الشعر عندهم وسيلة لعرض قوتهم الشعرية واستعارات لغتهم، كان تعبيرا عن عالمهم الداخلي ومشاعرهم العميقة وأفكارهم الأصلية. هكذا استطاع المهجريون أن يهدموا تقاليد "الشاعر القديم" إهداما تاما وأن يعيدوه الحياة بسبب تأثيرهم بالأدب الغربي. والحق أن مدرسة المهجر كانت ولا تزال لغزا أمام كثير من دارسيها الشعر العربي وخلال فترة زمنية قصيرة استطاع جماعة من السوريين واللبنانيين أن يؤسسوا مدرسة جديدة في الشعر العربي وكانوا متأثرين بالكتب المقدسة.

الباب الثاني

البواعث التي أدت إلى الهجرة

عندما نحلل أسباب هجرة أبناء العرب من مسقط رأسهم إلى العالم الأجنبي، نرى أنهم كانوا مضطرين أن يتركوا بلادهم بأسباب لها أهمية في العرب. وذلك الزمن الذي شهد تحولات مهمة في وفي الوطن العربي. حيث كان الإنسان في بلاد العرب يسعى إلى إثبات وجوده وإبراز شخصيته في تاريخية كان العالم فيها يسعى سريعا إلى تكوين شخصيته وتحديد إمكانيته. ولا عجب أن نسمي بعصر القوميات ونهضة الشعوب. وشهدت بلاد العرب تسابقا في مجالات مختلفة وخصوصا والسياسية والثقافية.

وكانت الأحوال الاجتماعية في النصف الأول القرن التاسع عشر في بلاد العرب متأخرة للغاية. فإن سياسة الأتراك في بلاد العرب لم تكن تحسین الأوضاع العامة للناس، بل كان همها محصورا بشؤونها الخاصة دون الالتفات إلى مصالح

واحتياجاتهم. لذلك فإن المتتبع للوضع الاجتماعي خلال ذلك الزمن يجد أن الحضارة لم تدخل إليه في أي من سبلها. فعاش على الفقر والإدقاع والامية. لم يعرف الناس البترول وكانوا يستحسنون بالسرج كان العرب في الجاهلية.

وتذكر بعض المصادر² أن بيروت كانت قرية صغيرة شوارعها ضيقة جدا وقذرة وكثيرة الاعوجاج. ومنازلها عبارة عن مزدحم من البيوت ذات الطبقة تتابها الرطوبة أيام الشتاء، ليس فيها بيت واحد بنوافذ زجاجية إلا بيت قنصل بريطانية. وكان من الطبيعي يبحث الإنسان عن مصادر للعيش الكريم تقيم وتمنع عنه شبح الفاقة والفقر. فلم يجد أمامه من سوى الهجرة وترك أرضه قاصدا مواطن أخرى لعله فيها ما ينجيه من أزمته المعيشية التي يتخبط فوق كل ذلك كان الأتراك يزيدون في ضغوطهم النفسية والجسدية على المواطنين. ولذلك كان الشاب العربي لا

² "بيروت في التاريخ" جورج يزبك - طبعت 1923

**يجد أمامه من سبيل للخلاص إلا الهجرة إلى المواطن
الأخرى البعيدة كي ينجو من الجوع والإذلال.**

الباب الثالث

أثر المهاجرة في الأدب

وكان همّ المهاجرين أولاً جمع المال وإرساله والعودة به إلى بلادهم وأهلهم. فتدفّق المال على البلاد والذين عادوا إلى الوطن حملوا معهم فضلاً المال روحاً جديدة وآمالاً جديدة كان لها أثر في الحياة المعنوية لا في بلادهم فقط بل في البلاد المجاورة أيضاً. والقسم الأكبر من المهاجرين استوطنوا ديار غربتهم. وهناك نشأت منهم أجيال ضعيفة الصلة بالوطن الأصلي. على أنهم برغم ذلك يفقدوا شخصيتهم المعنوية. فقد حملوا إلى بلادهم الغربية لغتهم وأدبهم. فأنشؤوا الصحف وشاركوا العالم العربي في النهضة الفكرية. فنبع بينهم جماعة من الكتاب والشعراء مثل جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وأمين الريحاني ونسيب عريضة وإيليا أبو وأثارهم الفكرية تتجلى لنا في بعض نزعات نفسية ترجع عند التحقيق إلى هذه العوامل التالية.

1. حب الحرية

يتبعه حب التجدد والتخلص من كل ما
 عن السير في سبيل التقدم وهي النزعة الانسانية التي
 تسود أدب المهجر. وقد سعى الأدب المهجري في
 السبيل سعى المجاهدين وغرس لنا في حقول الوطن
 والدين واللغة غروسا طال جناها للأكلين. وتظهر
 الحرية بثلاثة مظاهر في الحرية الوطنية والحرية الدينية
 والحرية اللغوية.

(أ) الحرية الوطنية

ترك المهاجرون أوطاننا ترهقها المظالم ويغشاها
 الفساد الاجتماعي والإداري. ولما تنفسوا نسيم الحرية
 في المهجر وتذوقوا لذة الإدارة المنظمة
 بسرو لم يعهدوا من قبل. وأخذوا يتغنون بالحرية على
 أن لهذا التغني في كل من الأمريكتين طابعا
 فالشماليون عموما أميل إلى المثالية العامة

إلى أوطانهم القديمة وفسادها الإداري ويقابلونها
بأوطانهم الجديدة وحياتها الراقية.

وكلهم يشعر بنعم وبكرامة لم يعرفها من
داره على أن ذلك لم ينسهم أوطانهم
يدعون لها بالخير ويتمنون الحرية والعدالة والشغف
بالمثابة الديمقراطية يبرر في
الشماليين. وقد يتحول عن بعضهم إلى دعوة
الاشتراكية.

أما الجنوبيون فيمتازون بما تصطبغ به نفثاتهم
حماسة قومية ونزعات عربية. وهاك من ذلك
الكلمات التي نقتبسها من مقال الدكتور خدوري
نادي القلم العراقي:

" أما الشعراء والكتاب فأرواحهم دائما في البلدان
العربية وأجسادهم فقط في المهجر. وهم يتبعون بدقة
زائدة تطور القضية العربية وينظمون الشعر ويتلون
الخطب الحماسية خدمة للبلاد العربية". وعلى
الأساس نجد الجالية العربية في أمريكا الجنوبية

ويحس بما يشعر ويحس به العرب في كافة البلاد العربية."

ب (الحرية الدينية

وكما كره الأدب المهجري الظلم وسوء النظام مناديا بالحرية الانسانية او داعيا إلى الاستقلال القومي كره التعصب الديني. وأحنك المهاجرون ولا سيما الشمال بأقوام يعظمون الجامعة الوطنية ويرفعونها فوق كل شيء ولا يرون في اختلاف العقائد ما دون تألفهم في سبيل المصلحة القومية وتعاونهم ما فيه الخير العام. فتحركت في نفوسهم النفور من التعصب المذهبي، حتى قام منهم من ينادي بالدين الانساني وبالإيمان الشامل؛ أو على يدعو إلى حرية المعتقد وعدم التعرض بسوء لمن يخالفنا في رأي أو مذهب. ويقول وليم كاتفليس :

" عرفت قوما يفضلون شعر المتنبي وآخرين يفضلون المعري أو الشريف الرضي

يتباغضون من أجل ذلك. أما إتباع موسى وعيسى
ومحمد فلا تكتفون بالفضل " ³.

والحق يقال أن أدباء المهجر إلا قليلا منهم

التفكير والشعور على أن لكل منهم لونا خاصا يميزه.

فهنالك المصلح الاجتماعي كأمين الريحاني والمتمرد

الروحي كجبران خليل جبران والمفكر الإنساني

لميخائيل نعيمة، وكلهم يحسون شعورا واحدا

يرمى دعاية واحدة.

³ وليم كاتفليس في بلاغة العرب في القرن العشرين 353

2. الحرية اللغوية

لم يكن الأدب المهجري أسير التقليد الإنشائية التي يحاول بعض النصوصيين تقيد الأدب ولا نقصد هنا الخوض في مسألة النزاع بين المحافظين والمجددين فتلك مسألة قديمة ولها مقام غير المقام. وإنما نقصد هنا ان نقرر موقف المهاجرين منها وأثرهم فيها. والواقع أن لهم دورا عظيما اللغة والأسلوب وأخص بالذكر منهم أعضاء القلمية في نيويورك. فهؤلاء قد تذوقوا الأدب الغربي وأشربوا الروح الرومانتكية.

وأشهر شعراء المهجر جبران خليل وميخائيل نعيمة وأمين الريحاني ونسيب عريضة أبو ماضي وأسسوا حركة جديدة في الأدب الحديث هي الرابطة القلمية.

الباب الرابع

الرابطة القلمية

الرابطة القلمية هي أول مدرسة منظمة في الأدب العربي وكان غرضها خلق مدرسة أدبية جديدة. ولكن لها مشابهاة في جميع مناحيها الأوربية⁴ حتى في التصوير والأسباب التي كونت المدرسة الأدبية عند العرب هي التي كونت الرومانتكية عند الأوربيين. كانت هناك الثورة الفرنسية وهنا الحرب العالمية الأولى. زعم رجال النهضة الشاعر يقوم بأهم عمل اجتماعي وأنه فوق الناس وهكذا اعتقد أصحاب الرابطة القلمية أيضا.

تأسيس الرابطة القلمية

مازال المهاجرون العرب الذين استوطنوا أمريكا في غمرة هذه الهجرة الكبيرة في مطلع العشرين يشعرون بأنهم عرب رغم "تأمرتهم" ولقد شعروا أن عروبتهم مهددة بالإنهيار والضياع في

⁴ مارون عبود: جدد والقدم ص 116

الحياة الأمريكية الجديدة التي أخذوا أنفسهم بها، لذا
فقد سارع فريق منهم إلى انشاء
والصحف اليومية لتكون صوتهم والدليل فيما بينهم.

ويقول الأستاذ أنيس نصر⁵ وصل المهاجرون
اللبنانيون الأولون إلى أمريكا منذ قرن كامل تقريبا
يحملون مالا ولا يفهمون لغة البلاد التي نزلوا فيها
يعرفون شيئا عن أحوالها وعادات سكانها ، واعتمدوا
على ذكائهم ونشاطهم وأقدامهم وقبضوا، بعد مرور
سنوات قليلة العدد على ناصية التجارة...!! إلى أن
:

"...ولكنهم ذلوا كل صعب وتعلموا لغة البلاد التي
يعملون فيها وأنشؤوا الصحف اليومية الكبرى
مختلف لغات العالم وأسسوا الصحافة العربية
بلادهم وفي مهاجرهم وما زالوا إلى اليوم
المجلىين...!!"

⁵ النبوغ اللبناني ص 19 وص 25 نقلا عن خطبة لشكري الخوري منشئ
جريدة الوهول في مهرجان يوبيل جريدته الفضي في سانتياغو البرازيل
15 آب 1935م

وقد ظهرت الصحف العربية جنباً إلى جنب مع ظهور أول جارية سورية استقرت في شارع وأنشطة".
 وصدرت أول صحيفة عربية في الولايات المتحدة 1888م باسم "كوكب أمريكا" وكان يملكها اثنان من أولاد يوسف عربيلي وأول من حررها هو الذي أسس فيما بعد " مرآة الغرب"⁶. وقد بلغت في الولايات المتحدة تسعا وسبعين جريدة ومجلة⁷.

ومن هنا يتبين لنا أن الحركة الأدبية في المهجر هي صنيع العقد الثامنة من القرن المنصرم ولكنها حركة محدودة لم تحس لها ركزا ولم ينتقل صداها المحيط الذي كانت فيه. ذلك أنها إنما أنشأت الجاليات العربية الموجودة هناك ولم تكن تتسم بأي ميسم بل كانت غايتها إخبارية بالدرجة الأولى يعتلج في النفوس من مألوف الشعر والنشر في الحنين والشكوى وما اتصل بها من أغراض محدودة...

⁶ كتاب الناطقون بالضاد في أمريكا، ص 40 واقتسبه الأستاذ نجيب في كتابه " القصة " ص 86

⁷ مقدمة - ديوان أبي ماضي - ص 36

على أن هذا الإطار الضيق الذي كانت تتنفس فيه
اتخذ شكلا آخر عندما وجد بين المهاجرين أمثال جبران
خليل جبران وميخائيل نعيمة ويليأ أبي ماضي.

على أن من الإنصاف لتاريخ الحركة الأدبية
المهجر أن نشير إلى من الذي بعثها وأحيها ونقلها
جوها المحدود إلى الجو العربي في مشارق
ومغربها أنما كان أديب المهجر الأكبر جبران
جبران.

وقع تأسيس الرابطة القلمية سنة 1920 في
جبران خليل جبران واجتمع لتأسيسها جماعة من
العرب كما يقول ميخائيل نعيمة في كتابه "جبران خليل
جبران" : " وفي ثبث أعضاء الرابطة القلمية نجد
ندرة حداد، أيليا أبو ماضي، وديع ياحوط، رشيد أيوب
إلياس، عطاليس، عبد المسيح حداد، نسيب عريضة"
ونجد في مكان العمادة " جبران خليل جبران" وميخائيل
نعيمة مستشارا ووليم كاتفليس خازن.⁸

⁸ "جبران خليل جبران" لميخائيل نعيمة، ص 169 مكتبة صادر، بيروت-1934

ورسم جبران للرابطة القلمية شعارا جميلا
يمثل دائرة في وسطها كتاب مفتوح وعلى صفحته
كتبت هذه العبارة " لله كنوز تحت العرش
السنة الشعراء" ⁹. أما نشأة الرابطة القلمية فإنها:
في خلال ليلة أحيائها صاحب " السائح" وإخوانه
بيتهم - في العرشين من نيسان سنة 1920. ودعوا
إليها رهطاً من الأدباء والأصحاب؛ دار الحديث عن
وعما يمكن الأدباء السوريين في المهجر القيام به لبث
روح جديدة نشيطة في جسم الأدب العربي وإنقاذه
وهذه الخمول والتقليد إلى حيث يصبح قوة فعالة
حياة الأمة. ورأى أحدهم أن تكون لأدباء المهجر
تضم قواهم وتوجد مسعاهم في سبيل اللغة العربية
وآدابها. فقابلت الفكرة استحسانه كل الأدباء الحاضرين
وأقروا بإجماع الأصوات مباشرة السعي لتحقيق
الفكر. وإذ لم يكن منه فرصة للبحث في كيفية تأليف
الجمعية وقوانينها دعا خليل جبران الأدباء
اجتماع في منزله ليلة الثامنة والعشرين من نيسان.

⁹ المرجع السابق ص 188

جلسة الثامنة والعشرين من نيسان 1920 عند
 جبران خليل جبران التأم تلك الليلة في منزل
 الأدياء الآتية أسماؤهم عبد المسيح حداد، ندره حداد
 إلياس عطا الله وليام كاتفليس، نسيب عريضة
 أيوب جبران خليل جبران منخائيل نعيمة. وبعد المباحثة
 أقر الجميع الأمور الآتية.

1. أن تدعى الجمعية الرابط القلمية وبالإنكليزية

ARRABITAH

2. أن يكون له ثلاثة موظفين وهم الرئيس

ويدعى العميد ويدعى المستشار فأمين الصندوق
 ويدعى الخازن.

3. أن يكون أعضاؤه ثلاث طبقات عامليه ويدعون

عمالا فمناصرين ويدعون أنصارا ومراسلين.

4. أن تهتم الربطة بنشر

ومؤلفات سواهم من كتاب العربية المستحقين
 وترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الأجنبية.

5. أن تعطي الرابطة جوائز مالية في الشعر والنشر والترجمة تشجيعاً للأدباء.

ووكّل الحضور أمر تنظيم القانون ميخائيل نعيمة، ثم انتخبوا بإجماع الأصوات جبران جبران عميداً وميخائيل نعيمة مستشاراً ووليام كاتفليس خازناً¹⁰.

ونظم ميخائيل نعيمة قانوناً للرابطة القلمية وكتب مقدمةً. إنني أريد أن أكتب السطور التي تبين روح الرابطة القلمية وغايتها:

" ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدباء، ولا كل من حرر مقالا او نظم قصيدة موزونة بلأديب. فالأدب الذي نعتبره هو الأدب الذي يستمد غذاءه من تربة ونورها وهواءها والأديب الذي نكرمه هو الأديب خص برقة الحس ودقة الفكر وبعد النظر المحياة وتقلباتها. وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة نفسه من التأثير..."

¹⁰ "جبران خليل جبران" لميخائيل نعيمة، ص 169 مكتبة صادر، بيروت ص 186 - 187

"...إن هذه الروح الجديدة التي ترمي إلى الخروج
 بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور
 جميل الأساليب والمعاني لحرية في نظرنا بكل تنشيط
 وموازنة، فهي أمل اليوم وركن الغد كما أن الروح
 تحاول بكل قواها حصر الآداب واللغة العربية ضمن دائرة
 تقليد القدماء في المعنى والمبنى هي في عرفنا سوس
 ينخر جسم آدابنا ولغتنا وأن لم تقاوم ستؤدي
 حيث لا نهوض ولا تجدد..."

"بيد أننا إذا ما عملنا على تنشيط
 الجديدة لا نقصد بذلك قطع كل علاقة مع
 فيبينهم من فطاحل الشعراء والمفكرين منه ستبقى
 آثارهم مصدر إلهام لكثيرين غدا وبعد الغد إلا أننا
 نرى في تقليدهم سوى موت لآدابنا. لذلك فالمحافظة
 على كيانتنا الأدبي تضطرنا للانصراف عنهم إلى حاجات
 يومنا ومطالب غدنا. وحاجات يومنا ليست كحاجات
 أمسنا. ورسم جران للرابطة شعارا جميلا يمثل دائرة
 في وسطها كتاب مفتوح وعلى صفحته خطت هذه الآية
 من الحديث. " لله كنوز تحت العرش مفاتيحها السنة

الشعراء! ومن فوق الكتاب قد أطلت شمس ملأت
 أشعتها نصف الدائرة الأعلى. وعند أسفل الكتاب
 سطره الأيمن محبرة أنعمت فيها قلم فتحول حبرها
 إلى لسان من نور خارج من طرف السراج الأيسر،
 تحت الدائرة اسم الرابطة القلمية مخطوط
 مستقيمة الزوايا تشبه بعض أنواع الخطوط الكوفية ومن
 تحته اسم الرابطة بالإنكليزية فعنوانها الذي
 عنوان جبران"¹¹.

نرى أن مدرسة الرابطة القلمية
 الانفلات من أساليب عصور الانحطاط التقليدية التي
 تعد صالحة للتعبير عن حاجات الحياة
 الاجتماع والآداب ولم تنفلت من قيود اللغة العربية ولا
 من معانيها وإن كانت اضافة إلى كتاباتها هذه الأفكار
 الجديدة التي تلقنتها من بيئتها الجديدة في المهجر.
 على أنه من مقتضيات البحث أن نشير
 الدكتور طه حسين في مجال التعليق على
 المهجريين .

¹¹ جبران خليل جبران , ميخائيل نعيمة - مكتبة صادر , بيروت 1934

"... ولكنني حائر حقا في أمر هذا النحو من الشعر وهذا الفريق من الشعراء. قوم منحوا طبيعة خصبة وملكات قوية، وخيالا بعيد الآماد وهم مهئون ليكونوا شعراء مجودين ولكنهم لم يستكملوا أدوات الشعراء فجهلوا اللغات او تجاهلوهاء. ثم اتخذوا هذا الجهل فأصبحنا من أمرهم في شك مريب. لا نستطيع لأنفسنا أن نغري الناس بقراءتهم لأننا إن فعلنا أغريناهم بالخطأ. ورغبتناهم فيه ودفعناهم إلى ما هم بطبعهم من الكسل والقصور و التقصير على أن هذا النحو من الضعف لم يكن شائعا مألوفاً في مصر يكن شائعا مألوفاً في بلاد الشرق العربي ولكنه عليها من مهاجر السوريين في أمريكا فتأثر به الشباب بعض الشيء. وما الذي يمنعهم أن يتأثروا به وهو لا يكلف تعباً ولا عناء. وهو في الوقت نفسه الشبان أنهم يقلدون الشعراء الغربيين ويجددون في الأوزان والقوافي ويخرجون على التقاليد بالمعاني دون الألفاظ..."¹²

¹² حديث الأربعاء : الدكتور طه حسين ص 200 وما بعدها.

ولكن الأستاذ ميخائيل نعيمة يرد على الدكتور طه

حسين في كتابه جبران خليل جبران :

" ونقم أنصار التقليد والجمود على الرابطة . فما

كانت نعمتهم الا لتزيدها قوة وحماسة واندفاعا ولتمني

عدهم انصارها ومريديها ومقلديها والمعجبين بها في كد

قطر عربي، حتى حار في امرها اصحابها وأعداءها

السواء فما عادوا يعرفونه إلى ماذا يعزون سر

وبعد تأثيرها فمن قائل أن السر في الأدب الأمريكي

الذي تأثر به عمال الرابطة وهو قول فارغ ومن

في جو الحرية الأمريكية وهو قول أفرغ ومن قائل انه

في تهتك عمال الرابطة من حيث اللغة العربية وأصولها

وهو قول أفرغ وأعقبه من القولين الأوليين. أما

الحقيقة فلا يعلمها الا الذي جمع عمال الرابطة

في فسحة محدودة من ديار غربتهم ولمحة معلومة

زمان هجرتهم ووضع في صدر كل منهم جذوة

عن أختها حرارة وبهاء لكنها من موقد واحد....."¹³.

¹³ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة, ص 174

يقول الأستاذ نجم ويبيدي رأيه في أدب المهجر

فيقول:

" والذي يهمنا من هذه الحركة هو وجهها الأدبي، وهو وجه مشرق ناصع فقد كتب الكثيرون المهاجرين أن يبرزوا في عالم الأدب والفكر كما برزوا في نواحي الحياة العملية. ومما ينكر المساهمة القيمة التي شارك بها المهجريون في نهضتنا الأدبية الحديثة. ومن يجهل الرابطة القلمية التي كان رئيسها خليل جبران ومن أعضائها ميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي ونسيب عريضة و... وهذا لا يعني أن الأدبي في المهاجر الأمريكية انحصر الجمعيتين (يعني الثانية العصبية إلا انه أمريكية الجنوبية) بل هناك أدباء كثير لم ينتظموا في سلكها...!"

"...نود أن نجمل رأينا في الرابطة بأن نقول

هذه المدرسة التي اتسمت بميسم القوة والثورة على كل قديم بال هي أقوى مدرسة عرفها الأدب العربي الحديث حتى اليوم. وقد ضربت بسهم

صائب في حقل الأدب واستطاعت أن تقدم إلى أدبنا طائفة مختارة من الأدباء الذين شاركوا في الأدب بألوانه المختلفة مشاركة طيبة. والذين نفحونا بروحانية طفى عليها التفكير الفلسفي الصوفي. وقد عنى هؤلاء الأدباء بالفكرة الموسيقي أكثر مما عنوا وقواعدها¹⁴.

ويذكر الأستاذ إلياس أبو شبكة¹⁵ شيئاً عن أدباء العربية من أدباء المهجر وأديهم. فيرى أنه كموقف البرناسيب الفرنسيين من بعض الرومنطقي على وجه التقريب. ففي العام 1866 عندما أذاعت المدرسة البارناسية مبادئها راحت باللائمة على الشعراء الذين يهملون العناية وقواعد النظم وفيسلكون مثلاً مسلك الفرد ده موسيه الذي كان له من عبقريته يشفع بقوافيه المضطربة سوى ان الشعراء البرناسية كجوزي ماريادة هريديا، وبودليير وإضرابهم كانوا يرتفعون بقوة أفكارهم وجمال صورهم إلى مستوى الصياغة والتمانة التين

¹⁴ القصة في الأدب العربي الحديث : د محمد يوسف نجم , ص 86
¹⁵ روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة : بيروت , دار المكشوف 1943
ص 102

يطالبونه بالتمسك بهما فلم يهبط المستوى الفني عن
 مرتبة الشاعر، خلافا لأدبائنا الذين كانوا يأخذون
 جبران والريحاني وعريضة وإخوانهم من رجال الرابطة
 الأدبية في المهجر ضعف لغتهم
 الماثورة في النظم والنثر."

ومهما اختلفت الأقوال في هذه المدرسة المهجرية
 مدافع عنها فإن الذي لا ريب فيه أنها احتلت مكانة
 قيمتها في الميدان الأدبي خلال الربع الثاني من
 العشرين وكان لها نصراؤها ومحبوها. ولا يزال لهذه
 المدرسة أثرها في الأدب العربي المعاصر. وقد
 الضعف يدب في عناصرها (خاصة بعد وفاة عميدها
 جبران) إذ أن الإمداد الأصيل الذي كان يأتيه من
 الوطن يكاد ينقطع سيله الآن.

الباب الرابع

الرابطة القلمية

الرابطة القلمية هي أول مدرسة منظمة في الأدب العربي وكان غرضها خلق مدرسة أدبية جديدة. ولكن لها مشابهاة في جميع مناحيها الأوربية⁴ حتى في التصوير والأسباب التي كونت المدرسة الأدبية عند العرب هي التي كونت الرومانتكية عند الأوربيين. كانت هناك الثورة الفرنسية وهنا الحرب العالمية الأولى. زعم رجال النهضة الشاعر يقوم بأهم عمل اجتماعي وأنه فوق الناس وهكذا اعتقد أصحاب الرابطة القلمية أيضا.

تأسيس الرابطة القلمية

مازال المهاجرون العرب الذين استوطنوا أمريكا في غمرة هذه الهجرة الكبيرة في مطلع العشرين يشعرون بأنهم عرب رغم "تأمرهم" ولقد شعروا أن عروبتهم مهددة بالإنهيار والضياع في

⁴ مارون عبود: جدد والقدم ص 116

الحياة الأمريكية الجديدة التي أخذوا أنفسهم بها، لذا
فقد سارع فريق منهم إلى انشاء
والصحف اليومية لتكون صوتهم والدليل فيما بينهم.

ويقول الأستاذ أنيس نصر⁵ وصل المهاجرون
اللبنانيون الأولون إلى أمريكا منذ قرن كامل تقريبا
يحملون مالا ولا يفهمون لغة البلاد التي نزلوا فيها
يعرفون شيئا عن أحوالها وعادات سكانها ، واعتمدوا
على ذكائهم ونشاطهم وأقدامهم وقبضوا، بعد مرور
سنوات قليلة العدد على ناصية التجارة...!! إلى أن
:

"...ولكنهم ذلوا كل صعب وتعلموا لغة البلاد التي
يعملون فيها وأنشؤوا الصحف اليومية الكبرى
مختلف لغات العالم وأسسوا الصحافة العربية
بلادهم وفي مهاجرهم وما زالوا إلى اليوم
المجلىين...!!"

⁵ النبوغ اللبناني ص 19 وص 25 نقلا عن خطبة لشكري الخوري منشئ
جريدة الوهول في مهرجان يوبيل جريدته الفضي في سانتياغو البرازيل
15 آب 1935م

وقد ظهرت الصحف العربية جنباً إلى جنب مع ظهور أول جارية سورية استقرت في شارع وأنشطة".
 وصدرت أول صحيفة عربية في الولايات المتحدة 1888م باسم "كوكب أمريكا" وكان يملكها اثنان من أولاد يوسف عربيلي وأول من حررها هو الذي أسس فيما بعد " مرآة الغرب"⁶. وقد بلغت في الولايات المتحدة تسعا وسبعين جريدة ومجلة⁷.

ومن هنا يتبين لنا أن الحركة الأدبية في المهجر هي صنيع العقد الثامنة من القرن المنصرم ولكنها حركة محدودة لم تحس لها ركزا ولم ينتقل صداها المحيط الذي كانت فيه. ذلك أنها إنما أنشأت الجاليات العربية الموجودة هناك ولم تكن تتسم بأي ميسم بل كانت غايتها إخبارية بالدرجة الأولى يعتلج في النفوس من مألوف الشعر والنشر في الحنين والشكوى وما اتصل بها من أغراض محدودة...

⁶ كتاب الناطقون بالضاد في أمريكا، ص 40 واقتسبه الأستاذ نجيب في كتابه " القصة " ص 86

⁷ مقدمة - ديوان أبي ماضي - ص 36

على أن هذا الإطار الضيق الذي كانت تتنفس فيه
اتخذ شكلا آخر عندما وجد بين المهاجرين أمثال جبران
خليل جبران وميخائيل نعيمة ويليأ أبي ماضي.

على أن من الإنصاف لتاريخ الحركة الأدبية
المهجر أن نشير إلى من الذي بعثها وأحيها ونقلها
جوها المحدود إلى الجو العربي في مشارق
ومغربها أنما كان أديب المهجر الأكبر جبران
جبران.

وقع تأسيس الرابطة القلمية سنة 1920 في
جبران خليل جبران واجتمع لتأسيسها جماعة من
العرب كما يقول ميخائيل نعيمة في كتابه "جبران خليل
جبران" : " وفي ثبث أعضاء الرابطة القلمية نجد
ندرة حداد، أيليا أبو ماضي، وديع ياحوط، رشيد أيوب
إلياس، عطاليس، عبد المسيح حداد، نسيب عريضة"
ونجد في مكان العمادة " جبران خليل جبران" وميخائيل
نعيمة مستشارا ووليم كاتفليس خازن.⁸

⁸ "جبران خليل جبران" لميخائيل نعيمة، ص 169 مكتبة صادر، بيروت-1934

ورسم جبران للرابطة القلمية شعارا جميلا
يمثل دائرة في وسطها كتاب مفتوح وعلى صفحته
كتبت هذه العبارة " لله كنوز تحت العرش
السنة الشعراء" ⁹. أما نشأة الرابطة القلمية فإنها:
في خلال ليلة أحيائها صاحب " السائح" وإخوانه
بيتهم - في العرشين من نيسان سنة 1920. ودعوا
إليها رهطاً من الأدباء والأصحاب؛ دار الحديث عن
وعما يمكن الأدباء السوريين في المهجر القيام به لبث
روح جديدة نشيطة في جسم الأدب العربي وإنقاذه
وهذه الخمول والتقليد إلى حيث يصبح قوة فعالة
حياة الأمة. ورأى أحدهم أن تكون لأدباء المهجر
تضم قواهم وتوجد مسعاهم في سبيل اللغة العربية
وآدابها. فقابلت الفكرة استحسانه كل الأدباء الحاضرين
وأقروا بإجماع الأصوات مباشرة السعي لتحقيق
الفكر. وإذ لم يكن منه فرصة للبحث في كيفية تأليف
الجمعية وقوانينها دعا خليل جبران الأدباء
اجتماع في منزله ليلة الثامنة والعشرين من نيسان.

⁹ المرجع السابق ص 188

جلسة الثامنة والعشرين من نيسان 1920 عند
 جبران خليل جبران التأم تلك الليلة في منزل
 الأدياء الآتية أسماؤهم عبد المسيح حداد، ندره حداد
 إلياس عطا الله وليام كاتفليس، نسيب عريضة
 أيوب جبران خليل جبران منخائيل نعيمة. وبعد المباحثة
 أقر الجميع الأمور الآتية.

1. أن تدعى الجمعية الرابط القلمية وبالإنكليزية

ARRABITAH

2. أن يكون له ثلاثة موظفين وهم الرئيس

ويدعى العميد ويدعى المستشار فأمين الصندوق
 ويدعى الخازن.

3. أن يكون أعضاؤه ثلاث طبقات عامليه ويدعون

عمالا فمناصرين ويدعون أنصارا ومراسلين.

4. أن تهتم الربطة بنشر

ومؤلفات سواهم من كتاب العربية المستحقين
 وترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الأجنبية.

5. أن تعطي الرابطة جوائز مالية في الشعر والنشر والترجمة تشجيعاً للأدباء.

ووكّل الحضور أمر تنظيم القانون ميخائيل نعيمة، ثم انتخبوا بإجماع الأصوات جبران جبران عميداً وميخائيل نعيمة مستشاراً ووليام كاتفليس خازناً¹⁰.

ونظم ميخائيل نعيمة قانوناً للرابطة القلمية وكتب مقدمة. إني أريد أن أكتب السطور التي تبين روح الرابطة القلمية وغايتها:

" ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدباء، ولا كل من حرر مقالا او نظم قصيدة موزونة بلأديب. فالأدب الذي نعتبره هو الأدب الذي يستمد غذاءه من تربة ونورها وهواءها والأديب الذي نكرمه هو الأديب خص برقة الحس ودقة الفكر وبعد النظر المحياة وتقلباتها. وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة نفسه من التأثير..."

¹⁰ "جبران خليل جبران" لميخائيل نعيمة، ص 169 مكتبة صادر، بيروت ص 186 - 187

"...إن هذه الروح الجديدة التي ترمي إلى الخروج
 بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور
 جميل الأساليب والمعاني لحرية في نظرنا بكل تنشيط
 وموازنة، فهي أمل اليوم وركن الغد كما أن الروح
 تحاول بكل قواها حصر الآداب واللغة العربية ضمن دائرة
 تقليد القدماء في المعنى والمبنى هي في عرفنا سوس
 ينخر جسم آدابنا ولغتنا وأن لم تقاوم ستؤدي
 حيث لا نهوض ولا تجدد..."

"بيد أننا إذا ما عملنا على تنشيط
 الجديدة لا نقصد بذلك قطع كل علاقة مع
 فبينهم من فطاحل الشعراء والمفكرين منه ستبقى
 آثارهم مصدر إلهام لكثيرين غدا وبعد الغد إلا أننا
 نرى في تقليدهم سوى موت لآدابنا. لذلك فالمحافظة
 على كيانتنا الأدبية تضطرنا للانصراف عنهم إلى حاجات
 يومنا ومطالب غدنا. وحاجات يومنا ليست كحاجات
 أمسنا. ورسم جران للرابطة شعرا جميلا يمثل دائرة
 في وسطها كتاب مفتوح وعلى صفحته خطت هذه الآية
 من الحديث. " لله كنوز تحت العرش مفاتيحها السنة

الشعراء! ومن فوق الكتاب قد أطلت شمس ملأت
 أشعتها نصف الدائرة الأعلى. وعند أسفل الكتاب
 سطره الأيمن محبرة أنعمت فيها قلم فتحول حبرها
 إلى لسان من نور خارج من طرف السراج الأيسر،
 تحت الدائرة اسم الرابطة القلمية مخطوط
 مستقيمة الزوايا تشبه بعض أنواع الخطوط الكوفية ومن
 تحته اسم الرابطة بالإنكليزية فعنوانها الذي
 عنوان جبران"¹¹.

نرى أن مدرسة الرابطة القلمية
 الانفلات من أساليب عصور الانحطاط التقليدية التي
 تعد صالحة للتعبير عن حاجات الحياة
 الاجتماع والآداب ولم تنفلت من قيود اللغة العربية ولا
 من معانيها وإن كانت اضافة إلى كتاباتها هذه الأفكار
 الجديدة التي تلقنتها من بيئتها الجديدة في المهجر.
 على أنه من مقتضيات البحث أن نشير
 الدكتور طه حسين في مجال التعليق على
 المهجريين .

¹¹ جبران خليل جبران , ميخائيل نعيمة - مكتبة صادر , بيروت 1934

"... ولكنني حائر حقا في أمر هذا النحو من الشعر وهذا الفريق من الشعراء. قوم منحوا طبيعة خصبة وملكات قوية، وخيالا بعيد الآماد وهم مهئون ليكونوا شعراء مجودين ولكنهم لم يستكملوا أدوات الشعراء فجهلوا اللغات او تجاهلوهاء. ثم اتخذوا هذا الجهل فأصبحنا من أمرهم في شك مريب. لا نستطيع لأنفسنا أن نغري الناس بقراءتهم لأننا إن فعلنا أغريناهم بالخطأ. ورغبتناهم فيه ودفعناهم إلى ما هم بطبعهم من الكسل والقصور و التقصير على أن هذا النحو من الضعف لم يكن شائعا مألوفاً في مصر يكن شائعا مألوفاً في بلاد الشرق العربي ولكنه عليها من مهاجر السوريين في أمريكا فتأثر به الشباب بعض الشيء. وما الذي يمنعهم أن يتأثروا به وهو لا يكلف تعباً ولا عناء. وهو في الوقت نفسه الشبان أنهم يقلدون الشعراء الغربيين ويجددون في الأوزان والقوافي ويخرجون على التقاليد بالمعاني دون الألفاظ..."¹²

¹² حديث الأربعاء : الدكتور طه حسين ص 200 وما بعدها.

ولكن الأستاذ ميخائيل نعيمة يرد على الدكتور طه

حسين في كتابه جبران خليل جبران :

" ونقم أنصار التقليد والجمود على الرابطة . فما

كانت نعمتهم الا لتزيدها قوة وحماسة واندفاعا ولتمني

عدهم انصارها ومريديها ومقلديها والمعجبين بها في كد

قطر عربي، حتى حار في امرها اصحابها وأعداءها

السواء فما عادوا يعرفونه إلى ماذا يعزون سر

وبعد تأثيرها فمن قائل أن السر في الأدب الأمريكي

الذي تأثر به عمال الرابطة وهو قول فارغ ومن

في جو الحرية الأمريكية وهو قول أفرغ ومن قائل انه

في تهتك عمال الرابطة من حيث اللغة العربية وأصولها

وهو قول أفرغ وأعقبه من القولين الأوليين. أما

الحقيقة فلا يعلمها الا الذي جمع عمال الرابطة

في فسحة محدودة من ديار غربتهم ولمحة معلومة

زمان هجرتهم ووضع في صدر كل منهم جذوة

عن أختها حرارة وبهاء لكنها من موقد واحد....."¹³.

¹³ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة, ص 174

يقول الأستاذ نجم ويبيدي رأيه في أدب المهجر

فيقول:

" والذي يهمنا من هذه الحركة هو وجهها الأدبي، وهو وجه مشرق ناصع فقد كتب الكثيرون المهاجرين أن يبرزوا في عالم الأدب والفكر كما برزوا في نواحي الحياة العملية. ومما ينكر المساهمة القيمة التي شارك بها المهجريون في نهضتنا الأدبية الحديثة. ومن يجهل الرابطة القلمية التي كان رئيسها خليل جبران ومن أعضائها ميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي ونسيب عريضة و... وهذا لا يعني أن الأدبي في المهاجر الأمريكية انحصر الجمعيتين (يعني الثانية العصبية إلا انه أمريكية الجنوبية) بل هناك أدباء كثير لم ينتظموا في سلكها...!"

"...نود أن نجمل رأينا في الرابطة بأن نقول

هذه المدرسة التي اتسمت بميسم القوة والثورة على كل قديم بال هي أقوى مدرسة عرفها الأدب العربي الحديث حتى اليوم. وقد ضربت بسهم

صائب في حقل الأدب واستطاعت أن تقدم إلى أدبنا طائفة مختارة من الأدباء الذين شاركوا في الأدب بألوانه المختلفة مشاركة طيبة. والذين نفحونا بروحانية طفى عليها التفكير الفلسفي الصوفي. وقد عنى هؤلاء الأدباء بالفكرة الموسيقي أكثر مما عنوا وقواعدها¹⁴.

ويذكر الأستاذ إلياس أبو شبكة¹⁵ شيئاً عن أدباء العربية من أدباء المهجر وأديهم. فيرى أنه كموقف البرناسيب الفرنسيين من بعض الرومنطقي على وجه التقريب. ففي العام 1866 عندما أذاعت المدرسة البارناسية مبادئها راحت باللائمة على الشعراء الذين يهملون العناية وقواعد النظم وفيسلكون مثلاً مسلك الفرد ده موسيه الذي كان له من عبقريته يشفع بقوافيه المضطربة سوى ان الشعراء البرناسية كجوزي ماريادة هريديا، وبودليير وإضرابهم كانوا يرتفعون بقوة أفكارهم وجمال صورهم إلى مستوى الصياغة والتمانة التين

¹⁴ القصة في الأدب العربي الحديث : د محمد يوسف نجم , ص 86
¹⁵ روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة : بيروت , دار المكشوف 1943
ص 102

يطالبونه بالتمسك بهما فلم يهبط المستوى الفني عن
 مرتبة الشاعر، خلافا لأدبائنا الذين كانوا يأخذون
 جبران والريحاني وعريضة وإخوانهم من رجال الرابطة
 الأدبية في المهجر ضعف لغتهم
 الماثورة في النظم والنثر."

ومهما اختلفت الأقوال في هذه المدرسة المهجرية
 مدافع عنها فإن الذي لا ريب فيه أنها احتلت مكانة
 قيمتها في الميدان الأدبي خلال الربع الثاني من
 العشرين وكان لها نصراؤها ومحبوها. ولا يزال لهذه
 المدرسة أثرها في الأدب العربي المعاصر. وقد
 الضعف يدب في عناصرها (خاصة بعد وفاة عميدها
 جبران) إذ أن الإمداد الأصيل الذي كان يأتيه من
 الوطن يكاد ينقطع سيله الآن.

الباب الخامس

مبادئ الرابطة القلمية

وعندما نحلل الرابطة العلمية وأصحابها نرى أمرين أساسيين أولهما التأثير العام بالتيارات الأدبية الغربية والثاني امتصاص الغربية لهؤلاء جزئيا أو كليا.

1. التأثير العام بالتيارات الأدبية الغربية الذي

ظهر في محتويات وأساليب أدباء المهجر وشعرائه فما كانت الحياة هناك لتمهل أحدا. كان عليهم يتسابقوا إلى اكتساب طرقها ويتقنوا أساليبها في الأدب فحسب. بل في كل شيء يمت إلى معيشتهم بصلة. فكما أن الله قسم الناس ووهب بعضهم الفكر والأدب والشعر الفلسفة. كذلك منحهم القدرة على التعاطي الجاد القومي الحياة، فنبغوا في التجارة والصناعة والسياسة والاقتصاد. كما نبغوا في الفكر والأدب والشعر.

2. امتصاص الغربية لأدباء الرابطة القلمية

جزئيا أو كليا. وكان من أدباء الرابطة القلمية من دخل

في سلك الحياة واعتبر نفسه واحدا من القوم هناك. ومنهم من عايدات الزمن وتمكن من بشخصيته الوطنية والقومية فراح يعمل المتسحيل كي يصونها بالوسائل العديدة. وخصوصا بالصحافة التي صدرت بالعربية، والأدب الذي لم المضامين العامة المطروحة في بيئته الأولى العربية. فلقد وصلوا إلى مهاجرهم وكانوا لا يفهمون البلاد التي نزلوا فيها ولا يعرفون شيئا عن أحوالها وعادات سكانها فاعتمدوا على ذكاءهم ونشاطهم وأقدامهم. وقبضوا بعد مرور سنوات قليلة العدد ناصية التجارة. وذلوا كل صعب وتعلموا لغة التي يعملون فيها وأنشأوا الصحف اليومية الكبرى في مختلف لغات العالم وأسسوا الصحافة العربية في بلادهم وفي مهاجرهم وما زالوا إلى اليوم المجليين¹⁶"

ويتأكد لدينا هذا الأمر إذا عرفنا ان عدد الجرائد التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية باللغة

¹⁶ النبوغ اللبناني - الأستاذ أنيس نصر ص 19 و 25

يربو على تسع وتسعين مجلة وجريدة¹⁷ على أن أول صحيفة عربية صدرت عام 1888 باسم "كوكب أمريكا" لمحررها نجيب دياب.

حركة الصحافة بطيئة متهاودة تهتم بنشر الأخبار العادية والأدب الذي كان يحبو في مدارجه الأولى أن اتسعت دائرة مهمة الصحافة في المهجر وأخذت على عاتقها العناية بكل شيء وخصوصا في تناوله بعمق وتوجد له دورا مميّزا وأدائها في العصر الحديث . وقد شهدت هذه ازدهارا عندما تيسر لها رجال مثل جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وسواهما.

والحق يقال إن دور الأدب المهجري لم يكن اعتياديا وخصوصا في مجلات التجديد. وقد جرى الموضوع في مناسبات عديدة وتناولته جميع الأقلام التي اعتنت بهذا الأدب. فالدكتور محمد الكتاني - باحث عربي مغربي - يقول :

¹⁷ تاريخ الصحافة العربية - الكونت فيليب دي طرازي - المطبعة الأدبية - بيروت 1913

" لا بد من أن نعتزف بأن أدباء المهجر اللبنانيين كانوا من رواد التجديد في الأدب شعرا ونثرا، أسهموا في وقت مبكر في تحقيق هذا التجديد وجاهروا بمهاجمة القديم والنعي على المحافظين والتقليديين في أخذهم بأشكال ومضامين لم تعد ملائمة العربية الجديدة"¹⁸.

عمل المهجريون بجدية وتصميم، وأدّوا مهمتهم على خير ما يرام، وكانوا في شبه مؤسسة لها تنظيمها ومنطلقاتها الفكرية والأدبية¹⁹، وكانت الرابطة القلمية خير معبر عن هذا التنظيم وتلك المنطلقات.

وقد نشرت جريدة السائح تفاصيل للجلسات الأولى التي اجتمع فيها بعض شعراء المهجر وآدابه للتداول في الأدب العربي في المهجر وضرورة قيام رابطة أربابه.

وقامت الرابطة القلمية بنشر مؤلفات ومؤلفات غيرهم من كتاب العربية المستحقين وبترجمة

¹⁸ الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث : د محمد الكتاني ص 409

¹⁹ جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص 169 وما بعدها - بيروت 1934.

المؤلفات المهمة من الآداب الأجنبية. وفي سنة 1921م أصدرت مجموعة الرابطة القلمية ونالت قبولا وإعجابا بين الأدباء والشعراء لأنها عالجت الموضوعات الأدبية واللغوية والاجتماعية والفلسفية واعتقدوا الأدب وسيلة للتعبير عن هذه الحياة التي نحيا والتي عاشها أجدادنا وأجداد أجدادنا.

وبدأ أصحاب الصحف والمجلات ينقلون محتويات هذه المجموعة فأثرت تأثيرا كبيرا في نفوس الأدباء والشعراء لأن هذا الأدب كان يتميز بالتشبيهات الفائقة والخيالات الرفيعة والألفاظ الحلوة المملوءة بالموسيقى.

Mohammed Ali Askar, K. “A Comparative study of Gibran Kahlil Gibran with Michael Naimy”. Thesis, Department of Arabic, University of Calicut, 2008

الفصل الثاني

جبران خليل جبران

الباب الأول	:	حياة جبران خليل
جبران		
الباب الثاني	:	شخصية جبران
الباب الثالث	:	المبارزة في شخصية
جبران		
الباب الرابع	:	أسلوب جبران
الباب الخامس	:	الرومانتيكية في أدب
جبران		
الباب السادس	:	المرأة وجبران
الباب السابع	:	فريدريك نيتشه وجبران
الباب الثامن	:	النبي لجبران وزرادشت
لنيتشه		

الباب التاسع : النبي

الباب العاشر : أهم مؤلفات جبران

الباب الأول

حياة جبران خليل جبران

ان من النادر أن يصبح الإنسان مشهوراً في العالم مدة حياته. نستطيع لنا أن ندرج اسم جبران خليل جبران إلى هذه النادرة، وكان فناً كبيراً في العصر الحديث خصوصاً في الأدب العربي.

ولد جبران خليل جبران²⁰ في السادس من 1883 م في قرية بشرى إحدى قرى جبل لبنان. وهذه المنطقة كانت طوال قرون معقلاً من معقل الموارنة. وكان والده خليل جبران يعمل في تجارة يدها ويقدر الضريبة عليها. كان طيب القلب مقبلاً على الحياة. وكان يعرف القراءة والكتابة والحساب البسيط بعض المعرفة. وليس غير. ولم يكن كفوًا بعمله، وفوق ذلك كان مدمن الخمر وسجن مرات بأيدي الملوك إهماله في الوظيفة.

أما أم جبران كاملة رحمة فكانت ابنة كاهن اسطفان عبد القادر رحمة. وكانت كاملة نحيلة الجسم

²⁰ المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران - بيروت 1955 ص 193

حسنة الصورة، وكانت موسيقية الصوت تجيد أداء الأغاني الشعبية اللبنانية. ومع أنها كانت متقدة الذهن إلا أنها لم تكن مثقفة²¹ إذ كان تعليم النساء لبنان لم يعتبر ذا نفع لهن. لكن كاملة على نقيض زوجها كانت متحملة لمسؤوليتها متساهلة مع أولادها طموحا في سبيل مستقبلهم.

ولم تمض بضعة سنوات حتى أصبح في العائلة من فم بحاجة الإطعام: جبران خليل جبران وبطرس أخوه من أمه وسلطانة ومريانة الإبتتان الصغيرتان الوالد كان يبذل قسما كبيرا من دخله على الشراب. وهكذا قضى جبران خليل جبران طفولته في جو ومخاضات عنيفة بين أم مظلومة وأب الوقت نفسه أظهر ذكاء مبكرا وولعا شديدا بالرسم وكان يحب العزلة لينفرد بنفسه قرب مار سركيس مصور الرسوم بقلم الرصاص أحيانا وبقلم الفحم أحيانا.

وكان بين اللبنانيين اتجاه في ذلك

يهاجروا إلى أميركا خوفا من الفقر وشوقا في بناء حياة عالية. وحينئذ فكرت كاملة أن تهاجر مع أسرتها

²¹ جبران خليل جبران - الدكتور خليل حاوي - دار العلم الملايين، بيروت ص

أمريكا. ورأت أن الهجرة هي الحل الأفضل للمشكلات التي تواجهها العائلة وعلى ذلك سافرت هي جميعا إلى بوسطن²³ أما زوجها فقد ورواية أخرى تقول أن العائلة لجأت إلى الهجرة فيما كان الوالد يقضي مدة في السجن، ويرى الدكتور حاوي أن هذا الرأي أقرب إلى الصحة²⁴.

حلت العائلة في حي حقيير في بوسطن. يقول ميخائيل نعيمه في كتابه جبران خليل جبران :

" في بوسطن احياء مختلفة لمختلف الأميركيين الدخلاء وكلها حقيير وقذر. وأحقرها وأقذرها الصينيين. مرت فيه يوما في صيف سنة 1925 فكدت أضع منديل على أنفي لشدة الروائح المتصاعدة من كوم الأقدار الملقى في الشوارع وفيها قشور والليمون والموز وفضلات المطابخ السابحة في بحيرات صغيرة من السوائل القائمة...

²³ المرجع السابق

²⁴ الدكتور خليل حاوي - جبران خليل جبران - دار العلم الملايين، بيروت

ذاك هو الحي الذي اختاره في بدء هجرتهم أكثر السوريين الذين قصدوا بوسطن للارتزاق. فجاءت نارجيلة التنيك نارجيلة الأفيون. وكان بينهما ما يكون بين الجيران. ولك أن تصور لنفسك هذا الحي كيف في عام 1895 حين حلت فيه كاملة رحمة أولادها الأربعة"²⁵.

ونستطيع لنا أن نعرف من رحلة هذه الأسرة الأب - أن العلاقة بين الوالدين لم تكن على ما يرام. ونشأ جبران خليل جبران في رعاية أب عطوف، فكان من الطبيعي أن تهدأ نفس جبران جبران مع أمه لأنه يحظى منها بالدلال والحرية، لذا مرهف الشعور رقيق الاحساس. وقد حرصت أمه تنمية خياله وتربية ذوقه الفني منذ الطفولة. فكانت تغني له الأغاني الشعبية، تحكي له الحكايات وتقرأ الأقاصيص والتفت هذه الجهود مع استعدادات الطفل الفطرية فأثمرت في شبابه خيالا خصيبا. هذبته بالممارسة والتثقيف والميل إلى حب الناس جميعا.

²⁵ جبران خليل جبران - ميخائيل نعيمة - ص 41-42 مؤسسة نوفل بيروت 1978

وكان جبران خليل جبران يميل إلى الوحدة وينشد
الهدوء في احضان طبيعة لبنان الجميلة بين الغابات
وفي رعاية الجبل الأشم ولكنه مع ذلك احتفظ في
ذاكرته طبيعة أهل قريته الساذجة الممزوجة
والاستسلام للأقدار.

وكان انتقال الأسرة إلى بوسطن حوالي
1895م، وعمر جبران حينئذ اثنا عشر عاماً فواجهت
الأسرة قسوة وحرماناً. وباشراً أفرادها العمل نوا ما
جبران²⁶. والظاهر أنه بعد حوالي ثلاث سنوات
الجميع شيئاً من المال إذ استطاعوا
السنوات أن يوفدوه إلى لبنان لدراسة لغته القومية
ولسنا نعلم من أمر انجازاته المدرسية في
الفترة الا ما يخبرنا به، يوسف الحويك، رفيق صفه في
المدرسة، في كتابه ذكريات مع جبران²⁷. وهو يدعى
قد درس جبران شيكسبير ورومانتيكية
ببوسطن.

²⁶ حاوي خليل - جبران خليل جبران :اطارة الحضارى وشخصيته وآثاره تعريب
سعيد فارس باز
²⁷ الحويك يوسف - ذكريات مع جبران : باريس 1909-1910 حررتها أدفيل
شيوب
دار الأحد بيروت 1957

تعلم جبران الإنجليزية في بوسطن. وأجاد الاطلاع بها في مدة التجاوز العاميين ثم أنس في نفسه ميلا إلى تعلم اللغة العربية. فعاد إلى لبنان في خريف لاستكمال دراسته حيث دخل مدرسة الحكمة في بيروت ومع أن هذه المدرسة كان يديرها كهنة موارنة. لم جبران خليل جبران تلميذا نظاميا يعمل على احراز درجة ما، بل إنما ركز دراسته على العربية والفرنسية وصقل مقدراته بوصفه كاتباً.²⁸

ولعل في نزعه لاختيار منهج الدراسات التي مناسبة لمقدراته. وكان مقرر العربية في الحكمة يتضمن مختارات من الأدب القديم بمختلف عصوره ومطالعات كثيرة لكتاب النهضة مع التوكيد الشديد واسحق بخاصة.²⁹

يصف ميخائيل نعيمة الأيام التي قضاها خليل جبران في مدرسة الحكمة كما يذكر جبران خليل

²⁸ حاوي خليل : جبران خليل جبران.

²⁹ مارون عبود: رواد النهضة الحديثة - بيروت 1952 ص 96

جبران جالسا على مقعد بالقرب من كاترائية "نوتردام"
بباريس:

"أربع سنوات على مقاعد مدرسة
نفعتك ؟ اشكر ربك فقد نجوت من الصرف والنحو
والمعاني والبيان والعروض والقوافي- وإنك ان فاتتك
قواعدها لم يفتك جوهرها واشكر ربك فقد نجوت
الصلوات في- فأنت لن تدخل كنيسة منذ الآن- لأن يسوع
الذي تحبه لن تجده في كنيسة قط. ما اكثر المعابد وأقل
المتعبدين- وما أوفر الصلوات وأقل المصلين...!"
"...لقد تغيرت كثيرا في هذه السنوات الأربع
قضيتها في لبنان- وقد اشتد بك الشوق إلى أهلك- فأنت
لا تصدق متى تضمهم اليك ويضمنوك إليهم..."³⁰

لم يكن جبران خليل جبران يعرف الفرنسية
قبل فمن المحتمل ان بانتهاء هذه الفترة التي
سنتين تحصلت لديه المهارة الكافية لاكتساب المعرفة
المباشرة بالأدب الفرنسي³¹ ولعله قرأ قبل تلك الآثار

³⁰ جبران خليل جبران : لميخائيل نعيمة ص 61,65

³¹ حاوي خليل : "جبران خليل جبران"

الفرنسية المترجمة ولا بد انه عرف شيئاً عن "روسو"
وقرأ "البؤساء" لـ "هيجو"³².

وفي مدة أيامه في مدرسة الحكمة لها الأثر الفعال
في تكوين شخصيته في ما بعد. يصف ميخائيل
في كتابه جبران خليل جبران :

"أنت كثير الأحلام يا جبران من أين تأتي
لتدرس الفن كما تشاء ان تدرسه وأنت ما تزال عالمة على
سواك بدلا من أن تعول سواك؟ أمك تشتغل وأخوك
يشتغل وأختاك تشتغلان ليقموا بأودهم وأودك
أبيك. وأبوك سلم ذقنه لشريك محتال فأضاع كل ما كان
لديه من قليل رزق ومال . وهو مع ذلك لا يفارق
وسيكارته وقدحه. ومسكين أبوك ما أسلم نيتته وأقل
تدبيره وأطيب معشره. وما أحسنه رفيقا في السفر
بعلبك "الهرمل" "حمص" حماه وسهو لهما وعاصيهما.
وصرود لبنان الشمالي وقراه. لولاه لما عرفت شيئاً
جمالها وتلك الليلة التي قضيتها وإياه
القضيب في خيمة رعاة الغنم والبدو والنجوم من فوقك

³² حاوي خليل : "جبران خليل جبران"

والأغنام الآمنة والتلال البيضاء من حواليك والبحر تحت

قدميك. كم كان فيها من روعة ومن سحر".³³

وفي هذه الأيام دعا الحب إلى أوديت

وأحس جبران خليل جبران في قلبه محبة نحو إحدى ابنة

جيرانه اسمها 'حالا الضاهر' ولكن قد عرف

حبهما و منعها من أن ترى جبران. وهذه الواقعة

سببت فيه لاثارة غضبه ضد أحوال المجتمع

روايته الجميلة 'الأجنحة المتكسرة'.

نرى كتاب ميخائيل نعيمة وصفا جميلا عن هذا الحب

الطاهر الذي لم يدنس بأكدار الحوائج الجسدية:

"هي كانت تعرف معنى الصلاة والعبادة. وهي

كانت تعبد 'بالحق والروح' لأنها كانت تعبد بقلبيها

كان عقلها في حوزة الكاهن. أم ما أظلم الموت

أقصى تقاليد الناس يا ليتها بجانبك الآن. فقد

في كل بسمة من بسماتها النقية بلسم لكل جرح. وفي

كل لمسة من أناملها الناعمة الطاهرة جناح لكل

لقد وقاك الله ساعة التجربة معها فصنت عفتها

³³ جبران خليل جبران : لميخائيل نعيمة : ص 61

ولم تدنس سنواتها الست عشرة بشهوة. ما أجمل الحب
إذا كان نظيفا وما أعظم الفرق
الحارس...³⁴.

ثم رجع جبران خليل جبران إلى بوسطن عام 1899
على أنه هذه المرة لم يعد إلى المدرسة إذ ربما
نال من الدراسة الأكاديمية ما يكفيه فغدا في وسعه
ذلك أن يتابع الطريق الذي شاء لنفسه في
مواهبه بوصفه كاتباً وفي توسيع معرفته بالأدب.
والواقع أنه عاد إلى لبنان مرة أخرى في عام 1902 دليلاً
وترجمانا لعائلة أمريكية³⁵ وبعد أن مضى
على وصوله إلى بيروت تحتم عليه أن يعجل في الرجوع
إلى بوسطن لتلقيه برفقة من أخيه يخبره فيها
أخته سلطانة ومرض أمه مرضاً خطيراً. فغادر لبنان.
ولما وصل إلى بوسطن وجد أمه
تقاسى مرض السل وبه ماتت أخته وهو الذي أمات أخاه
بطرس أولاً ثم أمه أيضاً. وهذه المدة من حياته كانت مدة

³⁴ جبران خليل جبران : لميخائيل نعيمة : ص 62

³⁵ جبران خليل جبران : الدكتور خليل حاوي : ص 96

**حزن۔ الأستاذ ميخائيل نعيمة يروي أن جبران خليل
جبران قد قال أن ربه قد مات:**

" بلى بلى لقد مات ربي عندما ألمات سلطانة فكيف

أحيا بعد اليوم بغير رب".³⁶

وهنا أصابه هم طائل لأنه أصبح رب أسرة وأخته مريانا التي كانت تعمل بأشغال الإبرة مطالب الحياة حين كان جبران خليل جبران يمارس مهنة الكتابة والرسم. واستطاع له أن يواصل السير طريق الفن والمعرفة فقد أقام معرض رسومه الذي أقامه في محترف فرد "هولنداي" أحد المصورين المعروفين ببوسطن.³⁷

وتعرف أثناء هذا المعرض على ناظرة أمريكية تدعى ماري هاسكل التي أصبحت محسنة إليه وصديقه له مدى الحياة. وظلت تقدم له منحة لاستكمال دراسته الفنية في باريس مقدارها وسبعون دولارا شهريا، ولمدة عام كامل. ويصفها ميخائيل نعيمة في كتابه 'جبران خليل نحيلة طويلة غير جميلة متواضعة المظهر حين ما قابلت

³⁶ جبران خليل جبران : لميخائيل نعيمة : ص 67

³⁷ يونغ برياه : " هذا الرجل من لبنان . جبران خليل جبران " ترجمة سعيد عفيف بابا.

جبران أول مرة عام 1904 أي يوم كان عمره واحد وعشرين عاماً³⁸.

وفي ذلك العام نفسه أقام جبران مدرسة ماري هاسكل قابل في أثناءه معلمة فرنسية الأصل اسمها 'أميلي مثل' كانت تدعى مثيلين. وكانت مثيلين جميل الوجه وفاتنة وذات جاذبية جسدية.

" وفي شعرها الأسود لمعان يأسر العين ويكهرب الديدن إلى حد أن الناظر، لولا قوانين الحشمية واللياقة، لما تمالك من لمسها وتمسيده. وفي عينيها الغسلتين الواسعتين كحل من النور الذي يبرز بالنهار من الليل ويستل الليل من بين أجفان النهار. في بشرة وجهها الصافية حمرة الشقيق إذا تغشت في العاج"³⁹.

نشر جبران خليل جبران في سنة عنوانه 'الأرواح المتمردة' وكان في الوقت نفسه يعد

³⁸ جبران خليل جبران : لميخائيل نعيمة : ص 76 وما بعدها.

³⁹ جبران خليل جبران : لميخائيل نعيمة : ص 88

كتابين آخرين هما ' فلسفة الدين والتدين؛ و'الأجنحة المتكسرة'⁴⁰. وسافر جبران خليل جبران في السنة نفسها إلى باريس في حاضرة الفنون ومدينة حيث التقى برفيق صفه القديم في "المدرسة الحكمة" يوسف الحويك. فتجددت بينهما الصداقة الدائمة⁴¹.

ودخل جبران خليل جبران أكاديمية لوسيان تدرب بأشراف الأستاذ "لورنسا". لكن لم تمض بضعة أشهر حتى أنه سئم فن الأستاذ 'لورنسا' وأراد لو حرا في العمل على مذهبه⁴².

وتعرف جبران خليل جبران بباريس على أشهر رسام معاصر هو 'أغسط رودان'، وكانت المناسبة التي جمعتهما معرضا أقيم في خريف 1910 علق فيه رسم من رسوم جبران كان رودان يقوم المعرض لحظة أمام لوحة جبران فرحب جبران به وأوماً هو برأسه راد التحية وأصبح جبران خليل جبران تلميذا له⁴³.

⁴⁰ جبران خليل جبران : الدكتور خليل حاوي : ص 102

⁴¹ المرجع السابق

⁴² جبران خليل جبران : الدكتور خليل حاوي

⁴³ المرجع السابق

"...وأغست رودين جبار من جابرة الفن وكاهن من كهنة الجمال المعدودين. وكان جبران خليل جبران رأى الكثير من آثاره الفنية في باريس. وكان كلما أمام تمثاله لـ'فكتور هيجو' أو 'المفكر' أو تسحره المقدرة التي جعلت من البرونز البارد والحجر القاسي عضلات تفجر بقوة الحياة وتثير بالعواطف الشعرية وتتأجج بالأفكار الثائرة...!"

"...اتفق مرة لجبران أن زار رودين في محترفه نفر من أساتذة البوزار وتلاميذها فقصوا بزيارته ساعة خالها جبران دقيقة، لأنه أخذ وعظمته وبساطته واستقلاله ربما رآه حواليه من رسوم ملونة وسوداء وبيضاء وتمثيل من والخشب...!"

"...طرح التلاميذ على رودين أسئلة كثيرة لها علاقة بالفن كان يجب على كل منها ببساطة ووضوح مضمنا بعض أجوبته خلاصة فلسفته في

الحياة الفن- وكان بين الآونة والأخرى يتوقف إلى
كلمة أو عبارة أو تشبيه تمر بأذهان سامعيه مرور
في الظلمة- وجره سؤال من الأسئلة التي طرحت عليه
إلى التحدث ولیم بلايك الفنان والشاعر
الغريب (1757-1827). وأخبر سامعيه شيئاً عن حياة
الرجل وكيف تعانقت في روحه إلهة التصوير
الشعر- فكان شاعراً ممتازاً في فنه وفناناً ممتازاً
شعره، وكيف أنه يرى ما لم يراه الناس ويشعر
يشعر به الناس- إذ كان يرى رأي ويسكن بخياله عوالم
غير عالما الأراضي- فيترجم رواه ومشاهد
المحجوبة عن أعين الناس تارة برسوم تفتن الناظر
بسحر ما فيها من أسرار واتساق ودقة، وطورا بأناشيد
شعرية ونثرية كان يقرأها الناس ولا يفهمون منها
فيقولون ان في عقل صاحبها مساء والحقيقة هي
بلايك لم يكن مجنوناً، بل عاقلاً بين مجانين- ومصيبته
تكن الا في أنه حاول ان يجعل اوضاع اللغة الصلبة مرنة
مثل الفن- وأن يؤدي بالكلام المقيد بالمنطق رسوما
وعوامل نفسية تتعدي المنطق- فكان كلما تقدم

السن وكلمة تكاثرت وتنوعت رؤاه ازداد فنه جمالا
ووضوحاً⁴⁴

انصرف جبران خليل جبران من عند رودن وقد نسي
رودن وامتلاً دماغه وخياله وكل وجدانه
وليم بلايك ويروي ميخائيل نعيمة أن جبران
جبران قد ذهب سرعة إلى بائع كتب أمريكي
اهتدى إليه من قبل، وأكثر ما يبيعه كتب قديمة
مستعملة. وهناك اشترى بنسخة من تأليف عن
بلايك وفيه تفاصيل حياته ونماذج مختلفة من شعره
ونثره وفنه. وهذا ما واضح أن نرى تأثير وليم بلايك
كتابته ورسومه ظاهراً وباطناً.

واستفاد جبران خليل جبران كثيراً من مدة اقامته
بباريس أديبا وثقافيا أكثر من استفادته الفنية. وبدوا
أن جبران خليل جبران في أثناء هذه الفترة شرع
صقل شخصيته والتمرين بالإعلان عن ذاته. ثم
جبران خليل جبران عام 1910 عائداً إلى بوسطن
بدأت أحوال الاقتصادية تسوء. ولا بد أنه كان يبحث

⁴⁴ جبران خليل جبران : لميخائيل نعيمة : ص 111-112

حينئذ عن سبيل لتحصيل معيشتة إذ لم يكن في طوقه أن يعتمد دائما على إعانة ماري هاسكل المالية. وكان يكتب في اللغة العربية ولكن لم تكسبه الكتابة مالا.

وأخذ جبران يرسم صوراً من كان مستعداً أن له أجراً مقابل عمله. وفي بداية هذه المدة قد يرسم صور بعض مشاهير عصره لم يكن غايته المال بل بغرض الإعلان. وتقول 'بربرا يونغ' أن جبران جبران رسم صور رودان وديبوس وكثيرين غيرهم مشاهري باريس.⁴⁵

وفي عام 1912م انتقل جبران خليل جبران إلى نيويورك حيث استأجر محترفاً استخدمه غرفة وغرفة استقبال وغرفة طعام ومطبخاً في آن معاً.

⁴⁵ هذا الرجل من لبنان : يونغ باربرا : ص 57

" بعد عام لعودته من باريس وَوَّع جبران خليل جبران بوسطن قاصداً نيويورك. وكان يحمل في انتحاب مريانا، وفي عينيه دموعها وفي قلبه محبة ماري وبركاتها. وفي جيبه قسماً من مالها. وفي نسخة مخطوطة من روايته 'الأجنحة المتكسرة' ونسخة مطبوعة من كتاب 'نيتشة' هكذا تكلم زرادشت"⁴⁶

نشر جبران خليل جبران كتابه 'الأجنحة المتكسرة' في السنة نفسها. هي سيرته الذاتية التي يزعم قصة حبه الأول في لبنان. وسمع جبران خليل جبران نعى أبيه خلال هذه السنة.

وفي نيويورك بدأ يعتمد على تحسين أحواله المادية. فاتجه بقوة نحو الرسم الذي تعرف من خلاله على شخصيات كثيرة كونه من وتشجيعهم له ثروة فنية زودته بمال وخير. فأقام معرضين كانا موضع الإعجاب. ورأى جبران خليل أن مركزه الفني والمالي أصبحا طيبين فزاد حينه إلى الإبداع الأدبي ونشر مجموعته من الحكايات القصيرة

⁴⁶ جبران خليل جبران : لميخائيل نعيمة : ص 133

والقصائد المنشورة بين 1912 و 1918. وفي السنة
1914 نشر كتابه

'دمعة وابتسامة' وكان كتابا في الفلسفة والشعر

والإنسانية. وفي السنة 1916 تعرف جبران

جبران على ميخائيل نعيمة وأصبحا صديقين حتى انتقل

جبران خليل جبران إلى جوار ربه. وفي السنة 1919

نشر عشرين صورة مختارة من صورته بمقدمة " أليس
راجول" احدى النقاد الفن في نيويورك.

ونشر كتابه الأول بالانكليزية

السنة 1918م وظهرت قصيدته " المواكب" في نفس

السنة. ثم نشر مجموعة " العواصف" في السنة 1920

وكانت هذه الآثار جميعا تتميز بلهجة المرارة والسخرية
الفضة والثورة على المجتمع البشري وتقاليد.

وأسس 'الرابطة القلمية' مع أصدقائه هم ميخائيل

نعيمة ورشيد أيوب ونسيب عريضة وندره حداد ووليام

كاتفليس وايليا أبو ماضي. وانتخب جبران خليل جبران

رئيسا لها. وفي السنة 1923م نشر كتابه الروحاني

العظيم "النبي" الذي أحدث صدى عظيمًا في الأوساط الثقافية الأمريكية. فقد كان كتابه "النبي" بمثابة استقبلته أرض عطشى. لقد قدم لقراءه علاجًا لمشكلاتهم الروحية، وعلاقاتهم الإنسانية، في كانوا أحوج ما يكونون إليه. وأتبع هذا الكتاب بكتابين آخرين لا يقلان عن سموا وروحانية وهما ' يسوع الإنسان؛ و'حديقة النبي؛ وقد طبع الأخير وبذلك ذاع صيته في الغرب ككتاب روحاني من طراز فريد.

ونشر كتابه 'رمل وزبد' في 1926 و' الإنسان؛ و'آلهة الأرض؛ في السنة 1931 قبل أسبوعين لموته وكان قد أعد 'التائه؛ للطبع تاركًا حديقة النبي مكتمل.

وحوالي سنة 1921م بدأت علامات مرض القلب تظهر عليه. وظل أعوامًا يماطل الداء والداء وهو يظنه رجفة في القلب تزول بالحماية والوقاية. ولكنها ما كانت لتزول. بل كانت كلما تقادم بها تكاثرت نوباتها، وتنوعت أشكالها، وتصلبت أوجاعها

فكانت تارة تفتل في مفاصله فيظنها النقرس. وأخرى في أجهزة التنفس فيخالها نزلة قوية، وطورا تشد قلبه بأصابع من حديد فيحسبها علة في القلب.

وكان جبران خليل جبران محبا للعمل، حريصا عليه، وكثيرا ما كان يهتف. أن بي داء العمل. وهو يعرف نفسه ذلك. فلم يكن يستطيع مقاومة الاندفاع العمل والاقبال عليه. وتقول باربرا يونغ في كتابها ' هذا الرجل من لبنان' ⁴⁷ بأنه كان يعمل حتى الصباح وهو يملي كتابه ' يسوع ابن الإنسان' وفي سنة اشتد عليه مرض القلب .

⁴⁷ هذا الرجل من لبنان : باربرا يونغ

وأخيرا كشفت 'الأشعة' لجبران مكمّن الداء في
أحشائه. وتوفي في يوم العاشر من نيسان (أبريل)
1931 في الساعة الحادية عشرة من مساء يوم
الأول بعد الفصح⁴⁸.

⁴⁸ المرجع السابق : ص 150

الباب الثاني

شخصية جبران

لقد كان جبران فنانا مرهف الحس والذوق. فهم

الناس بحدود الفن. أن عناصر شخصيته

يستطاع درسها إلا في مجلد ضخمة. وقد ترعرع جبران

ونشأ في لبنان، فانطبع بطابعه ثم هاجر إلى

واكتهل فيها. ولكنه لم يحدثنا عن غير الشرق. فكان

معامل أمريكا وعمليتها لم تأثر شيأ بروحيته وشخصيته.

وكان جبران في حياته اليومية وفي كتاباته شخصية

محببة إلى النفس، قريبة من القلب. وأسلوبه

شخصيته الاجتماعية الرقيقة التي تقول حديثا

وتعاشر عشرة لطيفة. لقد كان كثير الأصدقاء يجمعهم

أينما حل في باريس كانت له مجموعة من

وفي بوسطن جمع حوله المحبين، وفي نيويورك كون

مجموعة من الأصدقاء وانضم إلى كثير من الجمعيات

الفنية والأدبية.

وكان أنيق المنظر، حلو الملامح، واسع العينين،
 تجللتها أحيانا سحابة من الشرود والغموض، كستنائي
 الشعر، أبيض البشرة، ضعيف البنية، متوسط الطول.
 كان متواضعا مرحا مع أصدقاءه وعارفيه. له ميل
 الدعابة أحيانا، ولكن كان أقرب إلى الوقار حيث
 ويتعمق الأشياء.⁴⁹

يصف ميخائيل نعيمة جبران خليل جبران عندما
 أول مرة، وكان في مكتب مجلة 'الفنون':

" بعد ظهر النهار، الذي وصلت فيه، كنت
 'الفنون' وإذا بشاب يدخل، لطيف الملامح، دون الربع
 من القامة، عليه بذلة رمادية، وبرنيطة
 الأسود، مستديرة 'السقف' مسطحة، وفي يده
 كروية الرأس معشقة في أعلاها بأسلاك فضية نحيفة.
 وما أن وقع نظري عليه حتى قلت: هذا جبران! ولم
 أبصرت له صورة من قبل. وما أن رأني حتى تقدم

⁴⁹ جبران - بين التمرد ومصالحة النفس. عبد العزيز النعماني - الدار
 المصرية اللبنانية - القاهرة. ص 33

وقال : هذا ميخائيل نعيمة! فتصافحنا وتصادرنا، كما لو كنا أخوين شتتھما البين. ثم عادت الأقدار فجمعتھما⁵⁰.

وأیضا یقول نعيمة عن ضیافة جبران حين زاره " صومعتھ؛

"...كان جبران خليل جبران في تلك الليلة عنوان اللطف والأنس، وحسن الضیافة. فقد أعد عربية وقدمها في طاساة حمراء من الخشب الصيني مع الكثير من السيكرات والقليل من التفاح. وكان لا ينتهي بنا الحديث إلى محط، حتى يبدأ بحديث آخر. فكنا وكأننا واحد. نمرح حيناً في مروج الأدب، ثم نعرج على مستنقعاته. وحيناً يسوقنا الحديث إلى نقطة فنضحك. أو إلى فاجعة فنجهم. وعندما الروسي أدهشني جبران بقوله انه من المعجبين سيما بتور غنيف و تولستوي ودوستوفيسكي. وبالأخير بنوع خاص، مع أن روحه تناقض روح نيتشه مستقيم...."⁵¹

⁵⁰ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة ، ص 161

⁵¹ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة ص 163

فكر جبران في الكون، وحاول دراسة أسرارهِ،
والوقوف على ما وراء الموت والحياة. كان كثيراً ما يخلو
إلى نفسه يقرأ ويكتب ويرسم في شغف بالغ. وكثيراً ما
كان ينفرد بنفسه مع الطبيعة الجميلة فوق ذرى
وروابيها وكان الشعر والفن يجريان في قلبه وروحه
جريان الدم في عروقه، ما استطاع أن يشق
صامتا صابرا بل كان لا بد له من أن يحدث نفسه
بالكلام، والخطوط، والألوان عما لاقاه من مشقة،
وعنت، ووجع في شق ذلك الطريق. فنرى
المروج؛ ' والأرواح المتمردة؛ و 'دمعة وابتسامة؛
و'الأجنحة المتكسرة؛ و'المواكب؛ و 'العواصف؛ وغيرها
من الكتابات، صرخات نفس مجتهدة في جهادها. وهذه
الصرخات تملو وتهبها. فهي حيناً ثورة جامحة وحيناً
لطيفة. فما أكثر ما ثار جبران في بدء حياته الأدبية على
أوضاع الناس من دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية.

لقد حبب إليه انفراده بنفسه الميل إلى الصمت
القريب من الخجل في مواجهة الناس. وكان
الحس، قوى الملاحظة، شديد التأثير، سريع الانفعال.
وكان مع هذا متساهل متسامح سرعان ما يعود
نفسه هادئاً، لأن الحقد لا يعرف إلى قلبه سبيلاً، لذا
يشعر شعوراً قوياً بالألم الإنسانية. لقد احتمل شدائد
كثيراً في بداية الحياة، ولكن سوء أحواله
يستسلم لليأس والقنوط، لأن طموحه كان أقوى
تشاؤمه فظل يعمل ويجد طول حياته.

الباب الثالث

المبارزة في شخصية جبران

وقد كتب جبران خليل جبران مقالات وقصصا ضد التقاليد الناس- وترى كراهيته، وحقده على الناس ومفاخرتهم- وقد كتب جبران مقالة بعنوان 'الملك السجين' يخاطب فيه اسدا رآه الحيوانات، فيصف له نيويورك وأهلها هكذا:

"انظر أيها الملك الجبار إلى هؤلاء بسجنك الآن.. انظر فهذا كالخنزير قذارة.. أما لحمه يأكل.. وهذا كالجاموس خشونة أما جلده فلا ينفع.. ذاك كالحمار غباوة يمشي على الإثنتين.. وذلك كالغراب شؤما ولكنه يبيع نفسه في الهياكل.. وتلك كالتطاؤوس تيتها واعجابا أما ريشها فمستعار!"

"...انظر أيها الأمير الجليل إلى المنفجرة والأزقة الضيقة، فهي أودية خطيرة المعابر يتربص اللصوص بين منحرجاتها، وتختبئ الخوارج

جنباتها هي ساحة قتال مستتب بين الرغائب والرغائب.

تتنازل فيها الأرواح متضاربة ولكن بغير السيوف...!"

"أما ملوكها فليست أسدا نظيرك، بل هم مخاليق

عجيبه لهم مناقد النسور وبرائن الصبح

العقارب...!"

ويقول ميخائيل نعيمة⁵²:

" لكن قائل هذا القول كان يشغل النهار والليل.

ويشتغل كالمحموم بقلمه وريشته ولسانه ليسترعى

انتهاهم أولئك. وكان لا يتوصل إلى معرفة رجل أو امرأة

أو عائلة على أسمائهم شيء من اللمعان

الفني أو المادي أو السياسي أو الاجتماعي الا يقول عن

ذلك بلسان من لا يكثرث لمثل ذلك اللمعان. ولكن

من يكبر في عين نفسه إذا ما تقرب من الذين

العالم كبارا. وكأنه كان يخشى من أعيب عليه التناقض

بين نفوره من تقاليد الناس ومفاخرته بها.

⁵² جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة : ص 165

فكان يطرح على كل علاقاته ستارا من السرى،
 وجلبابا من الفن والأدب. كما يروي ميخائيل نعيمة
 يقول جبران: " البارحة كنت مدعوا إلى الشاي عند مسز
 'كورين روبنسن' ثم يضيف بفخر ظاهر " هي
 ثودور روزفلت"⁵³.

ثم يقول عنها أن لها ذوق في التصوير. أو
 عن شخص آخر:

"هو من أخص أصدقاء
 وزوجته من أقدم العائلات الأميركية وأوفرها ثروة
 وثقافة"

وكان ينكر التقاليد الناس، ومفاخرتهم،
 ووقت نفسه كان في قلبه مكانة لهذه
 والتقاليد. وكان يصفع الناس بيد ويصافحهم بيد الأخرى.
 يثور عليهم عندما يثوب إلى روحه المتألم من كل شناعة
 وقساوة وظلم.

⁵³ المرجع السابق ص 165

يقول ميخائيل نعيمة: هكذا انقسمت نفسه على نفسه، وانساق جبران خليل جبران "المتمرد الناس" إلى جبران خليل جبران المتعطش إلى التفاهم وعطفهم ومالهم ومجدهم وعظمتهم.

لم يكن قانعا بفتوحاته الفنية البطيئة. وهو أن في روحه توأمين الفنان والشاعر. وقد حمل الأمريركيين منه دون شعره. وإلى أبناء لغته شعره منه. فلا العرب يفهمون شيئاً من منه، لأنهم لا يفهمون الفن التصويري، ولا الأمريركيين يعرفون شيئاً عن شعره لأنهم لا يعرفون العربية.

ثم يقول ميخائيل نعيمة⁵⁴: أن جبران خليل جبران لم يكن في الواقع يرى في نفسه علة أو يرى كل العلة وكل الإثم في الناس. لقد خيل إلى أنه يحارب عدواً اسمه العالم. لم يتمكن لجبران في ذلك الوقت أن يخرج من حد نفسه الضيقة. وكلما فكر بأمجاد الناس، وجدها حقارة، واعتبر فضائلهم عبودية. ولكن

⁵⁴ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة , ص 165

جبران خليل جبران الآخر كان يشتهي أمجاد الناس
وفضائلهم.

وأيضاً يقول نعيمه عن جبران خليل جبران
الصافي الذي يدعى جبران له. " فقد صار يرضى بالمرأة
شريكة له في فراشه، ولا يرضاها شريكة
وفكره وروحه"⁵⁵

⁵⁵ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمه

الباب الرابع أسلوب جبران

اكتسب جبران خليل جبران نبوغه ومهارته وبراعته شهرة عالمية لم يدركها كاتب عربي من إنشاء جبران خليل جبران مزين وحافل بالألوان وصور. وكان يصور فيما يكتب كأنه يفكر بالصورة والألوان يعبر ويفسر بالكتابة عما يتخيل. لم يكن يجري طريقة واحدة في الكتابة لكن هو عاطفياً مجرداً وحيناً إحساسياً واقعة. ومرة يخاطب الناس بالأمثال والرموز والمواعظ الروحية بالأسلوب العنيف القاسي. وتارة يكتب شعراً فلسفياً تأملياً، وتارة نثراً شعرياً موسيقياً. وكل هذه الأساليب والطرق التعبيرية كانت تفيض من شخصية متميزة تفكيرها وخيالها وروحها.

وقد ثار جبران خليل جبران في بدء حياته على أوضاع الناس من دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية. وندد عيوب الناس وعبوديتهم وشكلا غربته ووحدته ووحشته بينهم. ثم عاد إلى نفسه ويحدث

الحب والحق والجمال. وكان حديثه عذبا سواء أضحك أم بكى، وثار أم سكن وندد أم تودد، فالأسلوب الذي اختاره للإفصاح عما كان يعانيه من كآبة ومرارة ووحدة كان أسلوبا جديدا وفريدا في عالم الأدب العربي.

فقد كانت تسيطر على جبران خليل

طبيعتان متفوقتان: طبيعة الفنان والوجداني والمرهف الحس والشعور، وطبيعة المرشد والمصلح والواعظ فإذا راح يعالج عالما غير عالمه يحاكي الحوادث ويصور الأشخاص والحالات تصويرا يتناسبان مع المحسوس حتى وإن كانت الغاية التي يهدف إليها الحس وأبعد من الواقع. وجبران في قصصه يخلق حالات وأشخاصا ويصور تصويرا واقعيًا ولا غرض له من خلقهم إلا أن يجعل منهم مطابا لقلمه في وصف الطبيعة وشتى المشاعر البشرية.

ونرى في قصته "مرتا البانية" يصور قصة فتاة

قروية فقيرة الحال، طاهرة القلب والجسد، يغويها رجل

⁵⁶ ميخائيل نعيمة : مقدمة مجموعة الكاملة لجبران .

من المدينة فتحمل منه وتلد غلاما. ثم ترميها القدر في فراش الموت. يقول جبران خليل جبران :

"أن أدران الجسد لا تلامس النفس النقية، والثلوج المتراكمة لا تميت البذور الحية وما هذه الحياة بيد أحزان تدرس عليه أعمار النفوس قبل أن تعطي غلتها..."

وتقول مرثا المتحضرة:

"نعم أنا مظلومة. أنا شهيدة الحيوان المختبئ الإنسان، أنا زهرة مسحوقه تحت الأقدام. أيها العدل الخفي، الكامن وراء هذه الصور المخيفة، المتهامل، منك وحدك أطلب وإليك أتضرع. فارحمني وارع بيمنك ولدي، وتسلم بيسراك روجي"⁵⁷

إن في ما يقوله المؤلف لمرثا وفي ما تقوله مرثا للمؤلف لكثير من حلاوة التعبير، وطلاوة التصوير، وسمو التفكير. ولكن القارئ يخرج منه وفي مخيلته لمرثا رسمها هو ولم يرسمها له المؤلف. وفي وجدان

⁵⁷ عرائس المروج : مرثا البانية : مجموعة الكاملة ، جبران خليل جبران.

القارئ مشاعر أيقظها تخيلاتهم ولم يوعظها الكاتب.
وجبران يغرس في نفوسنا ومشاعرنا صورة
وأشخاصها فتنبت وتنشأ من أنفسنا.

هكذا في قصته يوحنا المجنون يوقظ في نفوسنا
الشفقة على بطل القصة والتقرُّز من فظاظة الرهبان
الذين حبسوا عليه ثم يجعل جبران خليل جبران من
الفتى القروي الساذج خطيباً فيخطب في حفلة تكريس
كنيسة جديدة مناجياً يسوع الناصري:

"انظر يا يسوع الناصري الجالس في قلب
النور الأعلى... انظر أيها الراعي الصالح، فقد نهشت
مخالب الوحوش ضلوع الحمل الضعيف الذي
على منكبيك... إن صراخ البائسين المتصاعد من جوانب
هذه الظلمة لا يسمعه الجالسون باسمك على العروش
ونواح المحزونين لا تعيه أذان المتكلمين بتعاليمك
المنابر... تعال ثانية يا يسوع الحي واطرد باعة الدين من
هياكلك. فقد جعلوها مغاور تتلوّ في أفاعي روعهم
واحتيالهم"⁵⁸.

⁵⁸ "يوحنا المجنون" عرائس المروج : مجموعة الكاملة خليل جبران

وفي قصته " صراخ " القبور يقول جبران خليل جبران حكاية ثلاثة حكم عليهم بالقتل يسألهم سؤالا ومن غير أن يسمع شهادة شاهد قضاياهم. أولهم شاب اتهم بقتل ضابط. ولكنه دافعا عن عرضه وشرفه. وثانيهم فتاة أتهمها بالخيانة. ولكنها في الواقع ما خانته، بل لم تكن تحبه لأنها ارتبطت به أرغام ارادتها. وكانت تحب وثالثهم شيخ اتهموه بسرقة بعض الأواني الذهبية من كنيسة الدير. ولكنه ما سرق غير زنبيل من الدقيق كان يتضور وأولاده جوعا من بعد أن طرده خدمته. أن جبران خليل جبران يرتب الحوادث والأشخاص ترتيب القلق لأن يخلق لقلمه جوا يستطيع أن يقول فيه مبادئه وآراءه. وهو يقول:

" الشريعة. ما هي الشريعة؟ من رآها نازلة مع نور الشمس من أعماق السماء؟ وأي بشري رأي قلب فعلم مشيئته في البشر. وفي أي جيل من الأجيال الملائكة بين الناس قائلين: أحرموا الضعفاء نور الحياة

وأفنوا الساقطين بحد السيف ودوسوا الخطأ بأقدام
من حديد؟"⁵⁹.

وكان جبران خليل جبران بطبيعته
التجديد، ويطمح إلى تحقيق التطوير في المجتمع،
الأدب كنشاط يترجم الحياة الاجتماعية، ولهذا وجدناه
يميل إلى لون أسلوب واحد في كتابه، بل إنه
يكتف بقالب أدبي بعينه.

فلقد تنوعت قوالبه في ابداعاته التي صاغها باللغة
العربية، وفي تلك التي صاغها باللغة الانجليزية.

إن محاولته الأولى في الكتابة، في بواكير حياته،
كانت كتابا ساذجا في الفكر، بسيطا في الأسلوب.
ويمثله كتاب " الموسيقي " الذي لا يمثل شخصية جبران
خليل جبران التي عرفت فيما بعد. وكان بيانه
وأسلوبه متسق، لدرجة انه اشتهر على السنة أصدقاءه
وقراءه قولهم " الطريقة الجبرانية " أنها طريقة
على الإكثار من الأساليب المجازية، وتداخلها مع
الأساليب البلاغية الأخرى من تشبيه وكناية.

⁵⁹ المرجع السابق

ومن أمثلة التداخلات المجازية ما نراه في كتابه " الأجنحة المتكسرة" من مداخلة بين المجاز والتشبيه:-

"وفي تلك السنة ولدت ثانية، المرء ان لم تحبل الكأبة، ويتمخض به اليأس، وتضعه المحبة الأحلام، تظل حياته خالية بيضاء في كتاب الكيان. في تلك السنة شاهدت ملائكة السماء تنظر إلي أجفان مرآة جميلة، فيها رأيت أبالسة الجحيم يضجون ويتراكضون في صدر رجل مجرم"⁶⁰.

ومن خصائص جبران خليل جبران أيضا بالموسيقى، سواء كان ذلك في الشعر أم في النثر. وهذه الموسيقى ظاهرة في الجناس والطباق وبقية ألوان المحسنات البديعية وتقطيع الجمل. ومنها الخفية التي نلمسها في حرارة العاطفة، وصدق الانفعال. وهذا نموزج لعنايته باختيار الألفاظ التي تتحقق الموسيقى، يقول :-

⁶⁰ الأجنحة المتكسرة مجموعة الكاملة : خليل جبران

"منذ البدء وظلام الليل يخيم على أرواحنا، فمتى
يجيء الفجر؟ من الحبوس إلى الحبوس، تنتقل أجسادنا،
والأجيال تمر بنا ساخرة، فإلى متى نحتمل
الأجيال؟ ومن نير ثقيل إلى نير أثقل تذهب أعناقنا،
وأمم الأرض تنظر من بعيد ضاحكة منا، فإلى متى
على ضحك الأمم، ومن القيود إلى القيود تسير ركابنا،
فلا القيود تفتني، ولا نحن نقرض، فإلى متى نحيا؟..."⁶¹

ويقول بعض الدارسين الأدب أن جبران
جبران قد تجاوز المألوف من المجاز والجناس وخلافهما،
في محاولة لتجميل الكلمات أكثر مما تعود الأدباء
يجملوها، وتجريدها من السطحية والسذاجة. انه فيض
من الصور الرائعة المبتكرة، في عبارات موسيقية،
لطيف الحرس، شجية الألحان.

وتطور هذا الأسلوب البياني عند جبران
جبران، فخلا من الإسراف والتكلف، وأصبحت المجازات
تجري على لسانه عذبة مشرقة، بعيدة عن الصنعة.

⁶¹ الأرواح المتمردة، مجموعة الكاملة لجبران خليل جبران.

إن إتقانه اللغة الإنجليزية نقله إلى آفاق أسلوب رحة، ومجالات فكرية جديدة، فأصبح يعي ماهية وتعريف الأديب، ومن هنا كانت حملته على الأسلوب التقليدي، والجمود الفكري، وأخذ مع صديقه ميخائيل نعيمة يكتبان في مفاهيم الأدب، معتأثرين بالأصول والاتجاهات النقدية الغربية. ومقال جبران خليل جبران 'مستقبل اللغة العربية' في كتابه 'البدائع والطرائف' يكشف عمق فهمه مهمة اللغة، وازدهارها، فهو يركز في مقاله على البعد عن التقليد، اهتماما بالفكرة، وبعدا عن التلاعب الأجوف بالألفاظ.

وآراء جبران خليل جبران الاجتماعية فقائمة المحبة كما نرى في كتابه " النبي " الذي هو ذروة الفكرة الجبرانية أو خلاصة آراء جبران خليل جبران. والحب عنده رومانسي، فهو لا ينشد اللذة الحسية، أو المتعة الجسدية يقنع باللقاء، والحديث الطيب، نرى هذا 'الأجنحة المتكسرة' يصف جبران خليل جبران عن عاطفته في حضور " سلمى كرامة " بطلقة هذه القصة:

" خرجنا إلى الحديقة، وسرنا بين الأشجار شاعرين
 بأصابع النسيم الخفية تلامس وجهينا، وقامات الأزهار
 والأعشاب تتمايل بين أقدامنا حتى إذا ما بلغنا
 الياسمين جلسنا صامتين على ذلك المقعد الخشبي
 نسمع تنفس الطبيعة النائمة، نكشف بحلاوة التنهد خفايا
 صدرنا أمام عيون السماء الناظرة إلينا من وراء
 السماء. وطلع القمر إذ ذاك من وراء سنين، وغمر بنوره
 تلك الروابي والشواطئ فظهرت القرى على اكتاف
 الأودية كأنها قد انبعثت من اللاشيء، وبان لبنان
 تحت تلك الأشعة الفضية كأنه فتى متكأ على ساعده،
 تحت نقاب لطيف... وأنا قد رأيت لبنان في تلك
 مثل فكر شعري خيالي، منتصب كالحلم بين
 واللايقظة، كذا تتغير الأشياء أمام أعيننا بتغير عواطفنا،
 وهكذا نتوهم الأشياء متشحة بالسحر والجمال عندما
 يكون السحر والجمال إلا في نفوسنا".⁶²

⁶² الأجنحة المتكسرة : مجموعة الكاملة، لخليل جبران

فالتبعية هنا - كما يعلن جبران - تأخذ ألوانا تختلف

بإختلاف احساسنا بها، ونظرتنا إليها. وأن عواطف جبران خليل جبران كانت جياشة، فخرنه عميق مؤثر، وغضبه سورة عارضة لا تقف عند حد، ولا للتقاليد، وإذا أحب أحب بكل عواطف نفسه، كما نرى في كتابه الأجنحة المتكسرة.

وشعر جبران خليل جبران كما نعرف فلسفي. ولكن بعض النقاد والدارسين العرب يقولون أن شعر جبران خليل جبران يفتقر إلى كثير من مقومات الشعر، وأهمها وحدة القصيدة. فشعره يخلو تقريبا كل انفعال عاطفي. انه يستدل زي الحكماء ويستعير أفكار الفلاسفة تارة أخرى⁶³.

وإذا حاولنا أن ندرس أسلوب جبران خليل جبران نستطيع أن نتوفيه الا في مجلد ضخمة . ولد جبران جبران ونشأ في لبنان فانطبع بطابعه ثم أمريكا وقضى شبابه وكهولته ولكنه لم يتكلمنا عن غير

⁶³ جبران بين التمرد ومصالحة النفس. عبد العزيز النعماني الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة : 1997

**الشرق- لأن أمريكا وأحوالها لم تأثر بروحية جبران
فعاش في الولاية المتحدة يحلم مسقط رأسه
وقلما نرى كاتب يتعصب لجنسه ولغته كجبران.**

الباب الخامس

الرومانتكية في أدب جبران

ليس في الأدب العربي القديم مدارس بالمعنى الذي عرفناه في الأدب الأجنبية مثل كلاسيكية والرومانتكية والواقعية والرمزية وغيرها. ولم المدارس الأدبية الغربية على الأدب العربي إلا في مطلع القرن العشرين، إثر الاختلاط الاجتماعي والثقافي العرب المشارق والبلدان الأوروبية والأمريكية.

كان للاستشراق الأوروبي ولهجرة العرب المشارق وخاصة اللبنانيين والسوريين إلى الأمريكيتين، وانتشار الأدب الغربية في بلاد العربية دور هام في خلق أدبية جديدة واتجاهات مختلفة غيرت كثيرا في الأدب العربي.

وكان جبران خليل جبران الرائد الرومانتكية الأدب العربي الحديث⁶⁴ وزيارته لم تفرقه في شيء كبار أدباء الرومانسية في فرنسا أو انكلترا أو ألمانيا.

⁶⁴ مذاهب الأدب معالم وانكاسات : الدكتور ياسين الأيوبي _ دار العلم الملايين.

ومن مقومات هذه الرومانتكية ما أوجزه الدكتور إحسان عباس في كتابه ' فن الشعر؛ على الوجه التالي:

" لقد مجدت هذه المدرسة العودة إلى
 وألهمت النغمة وامتلات بالحنين الطاعني وبالكآبة والألم
 وبالنفور من حياة المدينة وبالثورة
 والشرائع. وقدست شريعة الحب واتخذت القلب إماما
 هاديا. وغمرتها الرموز الصوفية وثار على الشكل
 واهتمت بالمضمون وحطمت القالب اللغوي الصلب
 ولجأت إلى التحليل وتعلقت في ما كتبه جبران
 يقر على هذه الأرض إلا ليستجمع فيطير إلى آفاق
 أعلى⁶⁵.

تقوم رومانتيكية جبران على
 والموضوعات التي قامت عليها الرومانتيكية الغربية مثل
 الثورة والغربة والأمل والطبيعة والحزن والكآبة وغيرها.

1. الثورة

⁶⁵ فن الشعر: د/ إحسان عباس : ص 51

فقد ثار جبران على قومه ومجتمعه وتحولت ثورته إلى شعور قاس بالمرارة والأسى حتى كان يتمنى يكن شيئاً يذكر في هذا المجتمع كي لا يعيش المريز مع أبناء مجتمعه كما يقول في كتابه والطرائف".

"ألا ليتني شجرة لا تزهو ولا تنبت. فألم الخصب أمر من ألم العقم ليتني كنت بئرا جافت والناس بي الحجارة، فذلك أهون من أن أكون ينبوع ماء حتى والظالمون يجتازونني ولا يستقون. ليتني كنت قصبة مرضوضة تدوسها الأقدام . فذلك خير من قيثارة فضية الأوتار في منزل ربها مبتور الأصابع وأهله طرشان⁶⁶.

وقبل هذه المرارة اليائسة التي أصابته جبران خليل جبران، كانت ثورته الهادئة على الذين لم يكونوا يمسون الإنسان الذي يحملونه بين ظهرانيهم كما على مقالته المشهورة " لكم لبنانكم ولي لبناني" ونأخذ منها هذه الأسطر:

⁶⁶ من كتاب البدائع والطرائف، المجموعة الكاملة للمولفات جبران خليل جبران ، ص 50

" لكم لبنانكم وأبناءه ولي لبناني وأبناءه ومن هم يا ترى أبناء لبنانكم؟ ألا فانظروا هنيهة لأريكم حقيقتهم: هم الأحرار المصلحون الملتحمسون ولكن في صحفهم وفوق منابرهم والمنقادون الرجعيون أمام الغربيين "-

"هم أولئك العبيد الذين تبدل الأيام المصدئة بقيود لامعة فيظنون أنهم أصبحوا أحرار مطلقين. هؤلاء هم أبناء لبنانكم فهل بينهم من العزم في صخور لبنان أم النبل في ارتفاعه أم في مائه، أم العطر في هواءه؟ ولكن قفوا قليلا وانظروا لأريكم أبناء لبناني:-

هم الفلاحون الذين يحولون الوعر إلى حدائق
وبساتين. هم الرعاة الذين يقودون قطعانهم من
إلى واد فتنمو وتتكاثر وتعطيكم لحومها غذاء وصوفها
رداء...⁶⁷.

ويرى بعض الدارسين أن هذه الثورة الجبرانية
ليست إلا انفعالات هوجاء لم تنطلق من أرضية
ورثيا واضحة للعلاقات الاجتماعية كالعلاقات المتناقضة
لا تحل إلا بقوة الصراع الطبقي، وإن هذا الكلام لا يخرج
عن نطاق الميتافيزيكا لا يمكن حل مشكلاتها
وهميا. سواء اتخذ هذا الحل شكل السحراً أو غيرهما⁶⁸.

واضح من هذا التحليل أن جبران خليل جبران
ثائرا، بمفهوم صاحبه أن هو إلا " مصلاح من فوق
خارج المجتمع"⁶⁹.

⁶⁷ جبران خليل جبران " البدائع والطرائف " المجموعة الكاملة ، ص 522-523

⁶⁸ العيد يماني " الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومانطيسي في لبنان " دار
الفارابي ، بيروت 1971، ص 49

⁶⁹ المرجع السابق، ص 51

كائنة ما كانت ثورة جبران خليل جبران فهي هنا
 في إطارها الرومانتيكي الذي عرفناه
 الرومانتيكية الغربية كـ 'وردزورت' و'كيتس' و'هيجو'...
 وليس لجبران أن يتخذ له مذهبين في
 الحل الذي يريده يمضي العيد في كتابه لا يمكن في
 المذاهب الرومانتيكي بل في مذهب واقعي من النوع
 الإشتراكي، مبني على بنى فكرية مادية، جدلية،
 مثالية...

2. الغربية

من الموضوعات التي تناولها جبران خليل جبران
 موضوعة الغربية على مستوى رمانسي دفيع جاري
 كبار شعراء الرومانتيكية.

" أنا غريب في هذا العالم أنا غريب، وفي
 وحدة قاسية ووحشة موجعة غير أنها تجعلني أفكر أبدا
 لوطن سحري لا أعرفه وتملاً أحلامي بأشباح
 قصة ما رأتها عيني"⁷⁰.

⁷⁰ من كتاب " العواصف " المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران، تقديم ميخائيل
 نعيمه، ص 487

3. الليل

ثم كتب جبران خليل جبران في الليل بنغمته
 الخاصة وأحلامه عذوبة الموسيقى:
 يا ليل العشاق والشعراء المنشدين
 يا ليل الأشباح والأرواح والأخيلة
 يا ليل الشوق والصبابة والتذكار...
 ... يا ليل مترسل منبسطة هادئة مضطربة،
 وليس لظلمتي بدء وليس لأعماقي
 نهاية فإذا ما انتصبت الأرواح ، متبهاية بنور أفرانها
 تتعالى
 روحي متجمدة بظلام كآبتها ، إذا
 لن يأتي
 صباحي حتى ينتهي أحلامي " .⁷¹

⁷¹ من كتاب " العواصف " المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران، تقديم ميخائيل نعيمة ص 383-385

والملاحظ أن ليل جبران خليل جبران لا تشبیه له في آداب الرومانتكيين، وأن أستقوا كلهم وإياه من واحد، هو النفسي القلفة المتململة من هذا الضيق الذي يزداد ضيق أمام أنظارهم الأمتناهيّة ..

4. الطبيعة

ومن الموضوعات التي طرقها جبران خليل جبران في أدبه العام هي الطبيعة. وكان يسميها الأرض. لأن الأرض تحمل معنى الأحتضان أكثر مما الطبيعة، ومع ذلك فقد تغني جبران خليل جبران بالاثنتين، مما لا مجال فيه لاستشعار أي تمييز من الكاتب:

" ما أحملك أيتها الأرض وما أبهاك!

نحن نكلل صدرك بالسيوف والرماح وأنت تعمرين كلومنا بالزيت والبلسم. نحن نزرع راحتك والجماهير. وأنت تستنبتينها حورا وصفصافا"⁷².

⁷² جبران : البدائع والطرائف (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران) ص 533

ثم يتابع جبران خليل جبران كلامه عن الأرض
 فيتحدث عما يقدمه الأنسان وعما تقدمه هي له
 يتوحد معها توحدًا فيه الكثير من العمق والتأثير والأصداء
 المترددة في جنبات كل واحد منا، راودته
 الفكرة الصوفية:

" أنت الجمال في عيني والشوق في قلبي والخلود
 في روحي أنت أنا أيتها الأرض ولو لم أكن لما كنت"⁷³.

5. الحزن والكآبة

ثم يتحدث أيضا عن موضوع الحزن والكآبة
 وما قد ينتابه من مشاعر سوداوية كثيرا ما دعته إلى
 نشدان الموت والرغبة في احتوائه، كما لو كان
 مشتهى فيقول " تعالي أيتها المثابة الجميلة
 اشتاقتك نفسي!"

"اقتربي وحلي قيود المادة فقد تعبت من حرها!
 تعالي إلي أيتها المنية الحلوة وأنقديني من بين

⁷³ المرجع السابق : ص 536

الذين يحسبونني غريباً عنهم لأنني أترجم ما أسمه من
الملائكة إلى لغة البشر".⁷⁴

⁷⁴ دمعة وابتسامة لجبران خليل جبران ص 252

الباب السادس

المرأة وجبران

وراء كل عبقرى امرأة تؤيد روحه وتسلي قلبه. وإذا حاولنا تحليل حياة جبران خليل جبران، نرى كثيرا النساء اللاتي أثرن حياته المادية والروحية، وسأيرته المرأة تحت أسماء مختلفة، مثل الأم والأخت والحبيرة والصديقة وغيرها. وكان للمرأة أثر كبير في جبران خليل جبران، بل إن أثرها في أدبه كان مزدوجا، إن المرأة الشرقية المغلوبة على أمرها، الخاضعة خضعت والدة جبران خليل جبران لشراسة الزوج لقساوة الشقيق أو لعنجهية الأب،⁷⁵ المدوسة تحت أقدام التقاليد البالية والعادات القاسية، هذه المرأة نفس جبران خليل جبران التشاؤم وحملته على الثورة⁷⁶. وكان محاميا عن قضيتها وداعيا إلى تحريرها جبارا يذود عن حرمتها وحققها وكرامتها.

⁷⁵ "جبران خليل جبران عبقرى من لبنان" الدكتور فوزى عطوي الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت 1971

⁷⁶ المرجع السابق

أما المرأة الغربية مثل ماري هاسكل التي كانت صاحبة معهد في بوسطن، قدمت له من المادية كل ما يحتاج إليه ولإكمال دراسته الفنية في باريس، ومثلين وكانت معلمة فرنسية في مدرسة هاسكل، ولقد أحب في الأولي زوجها ونبهها وأحب من الثانية ما يحبه الرجل في المرأة وهاتان المرأتان كثيرا العبقرية الكاتبة الشاب،⁷⁷ وزادته إيمانا على إيمان بقدرة المرأة وبحق المرأة في الحياة والتحرر من يقيدها به المجتمع من تقاليد وعادات متحجرة، ونبحت هنا بعض النساء اللاتي استلزم في حياة جبران جبران حيناً بعد حين.

أ) الأم

أمه كاملة بنت الخوري كانت ابنة راهب المرونة. ذهبت مع زوجها الأول إلى برازيل إثر زواجهما وفيها مرض زوجها ومات بعد قليل، وعندما عادت كاملة وفاة زوجها وحيدة إلى بلدها كان ينشأ في بطنها

⁷⁷ "جبران خليل جبران عبقرى من لبنان" الدكتور فوزى عطوي الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت 1971

الرضيع بطرس. ولما وصلت إلى بلدتها بدأت أن تسكن في بيت أبيها. وكانت مغنية مجيدة تغني في الكنيسة وذات يوم سمع خليل جبران غنائها الذي أثار في الحب نحوها وأصبح زوجها الثاني.

وكانت كاملة ذات خصلة كريمة، وذات قلب استطاعت أن تفهم مظاهر عبقرية ابنها جبران في حداثة سنه. وكان جبران خليل جبران يجلس وحيدا وحشته فتدع أمه إلى شأنه بدون تكلف فيها أن كذا وكذا. كان في قلبها محبة نحو وطنها ولغتها اللغة العربية. وسبب هو أن أرسلت جبران خليل جبران إلى مدرسة الحكمة ليتعلم لغة آباءه وأجداده. وبه استطاع لجبران أن يعود إلى مسقط رأسه، ويرشده مناظرها الجميلة. وهذه الأيام التي قضى جبران مقاعد مدرسة الحكمة لها أثر بالغ في حياته الفنية.

وكانت أمه صورة محبوبة في قلب جبران جبران، وقضى طفولته تحت جناحيها. وهو يقول:

"أكثر الأديان يتكلم عن الله بصيغة المذكر، وعندى أن الله أم مثلها هو أب بل هو أب وأم معاً والمرأة مثال الله الأم. أما سبيل إلى الله الأم فهو الحب"⁷⁸.

وله عبارات كثيرة عن الأم يقول في المتكسرة: " إن أعذب ما تحدثه الشفاة البشرية لفظة ' الأم ' وأجمل مناداة هي ' يا أمي؛ كبيرة مملوءة بالأمل والحب والانعطاف. وكل ما في القلب البشري من الرقة والحلاوة والعذوبة. الأم كل شيء في هذه الحياة، هي التعزية والرجاء في البأس، والقوة في الضعف، هي ينبوع الحنو والرافة والشفقة والغفران. فالذي يفقد أمه صدرا يسند إليه رأسه، ويداً تباركه، وعينا تحرسه"⁷⁹.

"كل شيء في الطبيعة يرمز ويتكلم عن والشمس هي أم هذه الأرض ترضعها حرارتها وتحتضنها بنورها، ولا تغادرها عند المساء الا بعد أن نعمة أمواج البحر وترنيمه العصافير. وهذه الأرض هي أم الأشجار والأزهار تلدها وترضعها ثم تغطمها والأشجار

⁷⁸ جبر ان خليل جبران : ميخائيل نعيمة ، ص 84
⁷⁹ مجموعة الكاملة لمؤلفات جبران (العربية) ص 315

والأزهار تصير بدورها أمهات حنونات للأثمار الشهية
والبزورالحية. وأم كل شيء في الكيان هي الروح الكلية
الأزلية الأبدية المملوءة بالجمال والمحبة"⁸⁰.

ب) ماري هاسكل

في السنة 1904 وفق الخالق لجبران أن يعرض
رسومه في معرض صغير. وكانت صورته كلها عارية.
ولهذا أظهر بعض الناس نفورا، وأصبح جبران
جبران حزينا. وبعد قليل جاءت ماري إسبت هاسكل
رئيسة 'مدرسة مس هاسكل' للبنات في بوسطن، ورأت
رسومه. وكلما جرت عينيها على هذه الصور، دهشت
دهشة عظيمة. وكان جبران خليل جبران جالسا بجانبه.
فتعرف بها وفسرها جبران خليل جبران عن
رسومه، والسر الذي وراء نقاشته العارية كما يدعي:"
لأن الحياة عارية والجسم العاري هو أقرب وأجمل
للحياة"⁸¹.

⁸⁰ مجموعة الكاملة لمؤلفات جبران (العربية)، ص 216

⁸¹ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة ، ص 81

لقي جبران خليل جبران ومارى مرة بعد مرة،
وتناقشا عن الحياة والفن، والعلاقة الإنسانية. وتدرجيا
وقعا في حب عميق، وأرسلته مارى إلى باريس
تخصيص فن الرسم. وكانت ترسل 75 دولارا في
شهر.

وأصبح جبران خليل جبران في رعاية مارى إلى حد
كبير. وقامت بحوائجه من مال ورجاء وحب، ولكن
السموات لم تؤذن لهما بعقد الزواج. لما سألتها جبران
عن الزواج فرفضته كأنها تفكرت أن لا يكون حبها بعلاقة
المادية الفانية.

يقول ميخائيل نعيمة في كتابه جبران خليل جبران
عن محاولة جبران خليل جبران للزواج أولا وآخرا.

"... ظل جبران خليل جبران يحدث مارى ويترصدها
الفرصة لإطلاق سراج الكلمة التي في فمه إلى أن وقف
الحديث عند حد يستدعي الصمت والتفكير. وإذا أحسن أن
جلسته تمادت في التأمل أخذ فجأة يدها بيده. وشد عليها
ورفعها باحترام إلى شفثيه فقبلها، ثم أغمض عينيه،

وبصوت كأنه صوت القدر يعلن سرا عظيما من أسرار
الوجود.

قال:

" ماري؟ أتمشين معي؟ "

" إلي أين؟ "

" إلى حيث تدعونا الحياة! "

" أو تعني الزواج يا خليل؟ "

" نعم هل تقطعين معي الطريق حتى النهاية؟ "

أجابت ماري، والدهشة لا تزال بادية على

وفي صوتها:

" هل أنت نظيف يا خليل - هل جسمك نظيف؟" ⁸²

لكن تزوجت ماري هاسكل بمستر مينس، وذهبت

معه إلى جورجيا. لما مات جبران وفق الله

هاسكل أن ترافق جثمان جبران إلى لبنان.

ويقول جبران في وصيته:

"... كما هو في محترفي من رسوم وكتب،

فنية الخ، أوصي به بعد مماتي لمس ماري هاسكل

⁸² جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة

مينس، الساكنة حالا تحت رقم 24 شارع عاستون في مدينة سافانا من ولاية جورجيا. لكنني أرغب إلي ميسن إذا هي استنسبت ذلك أن تبعث بكل هذه الأشياء أو بعضها إلى بلدي"⁸³.

ج) مي زيادة

قد يكون نادرا أن يتحاب رجل وامرأة بدون بينهما في حياتهما. ولكن هذا ما وقع في حياة جبران ومي زيادة. وكانت مي زيادة من لبنان. انتقلت أسرتها إلى مصر، وتعلمت في بلاد الشرق سافرت إلى أوروبا لإتمام دراستها. وكانت تكتب مقالات في مجلة يصدرها أبوها في فرنسية. وكان لأبيها علاقات بين أدباء مصر، وكانوا يجتمعون في بيت أبيها للمناقشات عن الحركات المعاصرة وتدور مناقشاتهم حول جبران وأدبه حين حين ومي زيادة تستمع منهم آراءهم عن جبران جبران بشغف، لأنها كانت تطالع جبران من المجلات العربية.

⁸³ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة

وأرسلت مي إلى جبران رسالة تعرّف فيها نفسها، وأعمالها الأدبية، وإعجابها بأفكاره وكتاباتهِ. وكتب جبران إليها في الجواب لها عن حالة المرأة والمجتمع العربي، وما من دور في رفع مستوى المرأة في الشرق الأوسط. وأرسل إليها نسخة كتابه 'الأجنحة المتكسرة'؛ منتظرا آرائها القيمة حول هذا الكتاب.

فأعجبت مي زيادة بهذا الكتاب وأظهرت في رسالة له، أن الأفكار التي يقدمها جبران في هذه تناقض أخلاق المجتمع⁸⁴. لأن بطلة سلمى كرامة حبيبها مرارا بعد زواجها. ومي كتبت إليه أنه لا تجوز لامرأة متزوجة أن تلقى عاشقها الماضي، وبهذه الفعلة هي تخدع زوجها ومجتمعها، وفوق كل نفسها⁸⁵.

وكان جبران يرسل إليها نسخ كتبه عند نشرها لينال آراءها. لما نشر كتابه 'المجنون' و'المواكب' كتبت

A self portrait : Khalil Gibran. Classic paper books Page 25⁸⁴

A self portrait : Khalil Gibran. Classic paper books ⁸⁵

في مجلة 'الهلال' التي تصدر في مصر نقدا عن هذين الكتابين. هكذا اكتسب قلوبهما حبا وإجلالا بينهما.

وفي خلال الوقت اجتمع أدباء مصر أن شاعرا لبنانيا، ودعوا جبران لإلقاء خطبة، ولكن يستطع جبران أن يحضر في هذه المحفلة بسبب مشقة المال، وأرسل مقالة 'الشاعر البعلبكي' للقراءة عن نفسه. ونالت من فرصة لقراءة هذه المقالة واصلت المراسلة بينهما حتى وفاة جبران. لم تكن رسالتهما رسالة الحب فقط، بل كان مناقشات عن المجتمع والإنسان غير ذلك. ومرة كتب إليها جبران تقدم إلي نيويورك. لكن رفضت هذه الدعوة تقول العادة لا تأذن للمرأة لهذا. ودعته إلى مصر، وكان جبران يحب أن يصل إليها لكن عبت الزمان أن يتحابا برسالتهما مدة تسع عشرة سنة على نحو الوثيق.

(د) حلا الضاهر (سلمى كرامة)

أرسلت أمه جبران إلى مسقط رأسه لبنان ليتعلم اللغة العربية وثقافتها عام الحكمة في بيروت. وكان يقضي العطل الصيفية في بشري، لكن أباه أصبح سكيراً بكل معنى الكلمة. وزادته العزلة قسوة لم يكن يقدر مواهبه أو يراعي مشاعره قط. فتحتم عليه بالتالي أن يغادر منزل أبيه بعد أسابيع قليلة على رجوعه⁸⁶. وينتقل إلى منزل قريباته، ثم ما لبث أن يعرف بابنة إحدى الجيران وأحبها. كانت هذه الفتاة تدعى حلا الضاهر وتمتاز وتكبره بعامين.

فقد وجد جبران في بيتها ملاذاً من غضبات وإن كان هناك أيضاً قد عانى من عطرسية أخي حلا الذي كان حاكم المنطقة.⁸⁷ وما أن حل صيف 1899 وقد لأخي حلا أن الصلة التي تربط أخته بابن 'ملتزم ضريبة الماعز' - كما كان يدعوا جبران - فمنعها من أن

⁸⁶ جبران خليل جبران : الدكتور خليل حايي
⁸⁷ المرجع السابق

جبران أبدأ. فما كان من العاشقين ألا أن تدبرا أمرا
الاجتماع سرا في غابة قريبة إلى دير مارسركيس، برفقة
سعيدة أخت حلا⁸⁸.

وبعد قليل عاد جبران إلى بوسطن تاركا
حزينة في أرض لبنان، ولكن أعطى للعالم، بسبب
الواقعة الحزينة، رواية جميلة هي 'الأجنحة المتكسرة'،
وبدل جبران اسم حلا الضاهر إلى سلمى كرامة⁸⁹، أي حلا
الضاهر التي أماتها جبران في آخر الرواية،
يستكمل عناصر المأساة، فمن الثابت أنها تزوجت
غير جبران حقا، ولكنها لم تمت قبل الكاتب بل كانت في
طليلة الجائحات حول نعشه، لما نقل فاتم إلى
الأخير في ديرماسركيس، قرب بشرى⁹⁰.

ه) أميلي ميشيل

وكانت أميلي ميشيل فرنسية الأصل. فقد لقيت في
كتابات جبران بمثلين. وعرفتها ميري هاسكل لجبران،
وكانت معلمة في مدرسة ميري هاسكل،

⁸⁸ جبران خليل جبران : الدكتور خليل حاوي

⁸⁹ جبران عبقرى من لبنان : دكتور فوزي عطوي

⁹⁰ أدبنا وأدباءنا في المهاجر الأمريكية . ص 246 ، الطبعة الثالثة 1964

مساعادات ميرى هاسكل. وكانت لها حظ من الجمال،
لهذا طلب منها جبران أن يرسم صورتها. وهذه الصورة
بريشة جبران محفوظة في متحفه.

ولا شك في أن علاقة المحبة بين جبران
هاسكل كانت حب الأفلاطوني أي
والروحي. وعلى العكس من هذا كانت علاقة جبران
بمثلين علاقة الخداع وهو يقول لها:

" أنت كذلك ابنة الديدان والأكنان وأنا كالنسر
أرض غير الفضاء ميدانا. ولا أطيق أن أشرف على الحياة
إلا من القمم العالية، فسبحان من
والدجاجة. "

فقال أميلي ميشيل: " وأنت لا تأنف من أن تغدى
جسمك ببعض الدجاج ولحومها يا خليل... "

فقال جبران: " جسمي لا روحي "

فقال: " إذن أنا غذاء لجسمك لا أكثر ولا أقل
معطية لشهواتك أنا العوبة في يدك وحبنا ليس
ودجاجة... "

"...أنت لا تعرف إلا نفسك ولا تؤمن إلا بنفسك
أقول لك إنني أصبحت مضغة في أفواه بنات المدرسة
ومعلماتها"⁹¹.

ثم رحل جبران إلى باريس عام 1908 وذات
كان جالسا في غرفته وكان مستغرقا في فلسفة
بلايك فجاءت إليه أميلي ميشيل وتحدثت كثيرا عن
وعن علاقة القلبية بينهما، وهي تحبه جدا كثيرا وتود أن
تنكحه، ولكن لا يحب علاقة الزواج
يستقبلها عاشقة فقط.⁹²

وكان جبران يخاف نفرة أقربائه وأصدقائه عليه أن
تزوجها لأنه يدرس هناك على نفقتهم وبالخصوص
نفقة ماري هاسكل. فأبت أميلي ميشيل أن تكون
معشوقة له وانصرفت ثم لم ترجع أميلي ميشيل
وهنا تختم محبة بينهما.

(و) ماريانا

⁹¹ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة : بيروت 1943
⁹² Sarvat okashs : Introduction to the prophet, Darul Maarif, Cairo 1954 P. 14

وكانت ماريانا أخت جبران الصغيرة. لما اختطفت
 أيدي الموت أخته سلطانا أولاً، ثم أمه وأخاه الكبير
 فبقيت له أخته ماريانا في أوقات الحزن
 وقامت كأنها مساعدة له. وقد فهمت أن الفن والمال لا
 يسيران معاً وتركت أختها أن يأخذ وظيفة معيشتها
 ولم تخبره عن مصائب الحياة الواقعية فتمنعه
 يكون فناً كبيراً الذي خلق للعالم آثاراً أدبية ورسومات
 بارعة.

واشتغلت ماريانا بنفسها في الخياطة لأداء حاجيات
 بينها، وقضاء متطلبات أخيها وشجعتهم في
 والكتابة. وكانت ماريانا تسلياً لجبران في أوقات الحزن
 والكتابة. وفي آخر أيامه كتب في وصية أن يقسم
 ماله لماريانا ما يكفي لحياتها الباقية. وإذا
 حياة ماريانا نراها كأنها نسيت أن تعيش لنفسها،
 قضت معظم حياتها لأخيها العبقري.

الباب السابع

فريدريك نيتشه وجبران

(أ) فريدريك نيتشه

ولد فريدريك نيتشه في سنة 1844م⁹³ كابن كاهن لوثري. التحق بمدرسة بورتا المشهورة، ثم الجامعة في بون وفي ليبزيغ، حيث درس فقه اللغة وقرأ شوبنهاور. عين نيتشه في الكلاسيكي في جامعة بازل وكان سنه أربعة وعشرون. بقي نيتشه هناك حتى اضطرت صحتة إلى التقاعد سنة 1789م⁹⁴.

نشر نيتشه 'ولادة المأساة' (1872) و'في التأملات' (1873) والجزءان الأولان لـ 'الإنسان كل إنسان' (1878). ومن عام 1885 حتى انهياره النهائي في 1889م، ما عدا فواصل قصيرة، الحياة العادية. عاش نيتشه معظم أيامه في فرنسا

⁹³ Introduction, Thus spoke Sarathustra, Nietzsche, Penguin Classic 1982

⁹⁴ المرجع السابق

وإيطاليا وسويسرا⁹⁵. ظهر الجزء الثالث " الإنسان كل إنسان" في 1880. ثم نشر كتابه 'الفجر؛ 1881م. وكتب كتابه المشهور 'هكذا يتكلم زرادشت؛ بين 1883 و 1885م⁹⁶. وفي سنة 1889 أصابه وبقي في حالة الشلل العقلي والجسدي حتى أن في سنة 1900⁹⁷.

أهم مؤلفات نيتشه:⁹⁸

ولادة المأساة
 إنسان كل إنسان
 الفجر من اليوم
 علم أسباب الأخلاق
 غسق الأصنام
 شوبنهاور كمرابي
 الحكمة البهيجة
 هكذا يتكلم زرادشت

⁹⁵ Living Biographies of Great Philosophers, Henry Thomas and Dana Lee Thomas, Bharathiya Vidya Bhavan, Bombay 1951

⁹⁶ Thus spoke Sarathustra, Nietzsche, Penguin Classic

⁹⁷ Western Philosophers, A . S Thakur Mayoora A Short History of

⁹⁸ Living biographies of Great Philosophers, Henry Thomaas and Dana Lee Thomas, Bharathiya Vidya Bhavan, Bombay 1951

ما بعد خير وشر

المسيح الدجال

اكسى هوموا (سيرة ذاتية)

(ب) نيتشه وجبران : دراسة تحليلية

وفي مرحلة حياته بنيويورك كان جبران يقرأ يتكلم زرادشت! لنيتشه، وقد تأثر هذا الكتاب الفيلسوف في حياته الروحية والمادية كثيرا. وقد أعجبه كتاب نيتشه وفلسفته. وكان نيتشه ومساعده الأكبر ومؤنس وحدته الأعظم⁹⁹.

وأدهشه الإنسان الأعلى - السوبرمان - الذي تقدمه نيتشه في كتابه ' هكذا يتكلم زرادشت' - لأنه نيتشه يخلق عالما جديدا ويمحو عوالم قديمة، كلما فكر جبران بنيتشه تخيل له كالأرض يضيق صدرها بما فيه من فتفرج عنه ببركان. وقد اتخذ نيتشه 'زرادشت' نذيرا وبشيرا. ويصور زرادشت، وهو في الثلاثين عمره، ويترك بيته وبحيرته المحبوبة ويصعد إلى الجبال حيث ينقطع عن العالم. وبعد عزلة عشر سنوات ينحدر إلى الناس ليكشف لهم أسرار قلبه المفهم بالأسرار فيقول لها:

⁹⁹ جبران خليل جبران : نعيمه ص 146

" ألا قد تعبت من حكمتي حتى السّامة. فأنا كالنحلة

المثقلة بكثير ما جنته من العسل. وأنا بحاجة
ممدودة لتأخذه مني"¹⁰⁰.

ويقول ميخائيل نعيمة في كتابه " جبران

جبران" إن جبران كتب مقالا عربيا في هذا المعنى تحت

عنوان " نفس مثقلة بأثمارها"¹⁰¹ ومطلعه

مثقله بأثمارها فهل من جائع يحيى، ويأكل، ويشبع".

ثم يلتقي زرادشت شيخا ناسكا. فيعرفه الشيخ

ويسأله عن غايته من الرجوع إلى العالم " عالم

فيجيبه لأنه يحب الناس وأنه يحمل إليهم هدايا

فيحاول الشيخ أن يرده عن عزمه قائلا أن

يقدرون هدايا المتنسكين. لذلك قد انصرف هو عن حبهم

إلى حب الله. لكن زرادشت لا ينثني من إرادته. وبعد

يودع الشيخ يتعجب في نفسه قائلا:

" أ من الممكن أن هذا القديس المتوحد في

لم يسمع حتى الآن بأن الله قد مات؟"¹⁰² عندما يدرك

¹⁰⁰ Thus spoke Sarathustra, Nietzsche, Penguin Classic

¹⁰¹ جبران خليل جبران : نعيمة ص 147

¹⁰² Thus spoke Sarathustra, Nietzsche, Penguin Classic

أول مدينة في طريقه يجد في ساحتها جمهورا من
الناس قد تجمعوا ليتفرجوا على بهلوان سيرقص
حبل، فيخطب فيهم هكذا: "إني أعلمكم السوبرمان
الإنسان يجب أن يفوق الإنسان- ماذا فعلتم لتفوقوا
الإنسان؟" ¹⁰³

" ما هو القرد في عين الإنسان؟
ومسخرة. كذلك سيكون الإنسان في عين السوبرمان
مخزاة او مسخرة. " ¹⁰⁴

" لقد تدرجتم من الدودة إلى الإنسان غير أن الكثير
فيكم لا يزال دودة. لقد كنتم قرودا وحتى الآن ما
الإنسان قردا أكثر من أي أقرد كان " ¹⁰⁵

يروى ميخائيل نعيمة كان لجبران مقال بعنوان
أبناء الآلهة وأحفاد القروء" يقول جبران في آخره
ماهي إرادتكم يا أبناء القروء؟ هل سرتهم خطوة
إلى الأمام منذ انبثقتهم من شقوق الأرض؟ " منذ سبعين
ألف سنة مرتت بكم فرأيتكم تتقلبون كالحشرات

¹⁰³ المرجع السابق ص 41

¹⁰⁴ Thus spoke Sarathustra, Nietzsche, Penguin Classic ص 41 و 42

¹⁰⁵ Thus spoke Sarathustra, Nietzsche, Penguin Classic ص 42

زوايا الكهوف- ومنذ سبع دقائق نظرت من وراء بلور
نافذتي فوجتكم تسيرون في الأزقة القذرة وأبالسة
الخمول تقودكم وقيود العبودية تتمسك بأقدامكم
وأجنحة الموت تصفق فوق رؤوسكم- فأنتم اليوم،
كنتم بالأمس وستظلون غدا- وبعده مثلما رأيتم
البدء . كنا بالأمس وأمسينا اليوم- وهذا ناموس الآلهة
بأبناء الآلهة- فما هي سنة القرود بكم يا أبناء القرود؟"-

يقول نيتشه في كتابه :

" أقرب الطرق في الجبال هي من القمة. لكن من شاء أن يسلك تلك الطريق عليه أن يكون ذا ساقين طويلتين. الأمثال يجب أن تكون قمما. والذين تقال لهم يجب أن يكونوا من العمالقة".

وقد تأثرت هذه العبارة تأثيرا قويا في كتابه جبران. وكان له مقال عربي بعنوان "الخبيرة" الذي كتبه سنة 1917 وبدأ:¹⁰⁶

" ليس من يكتبه بالخبير كمن يكتب بدم القلب".

وكان جبران يحب كثيرا أن يكتب الأمثال والحكم طول كتابته. وكلها مليئة بالفلسفة والحكم. لا شك قد تأثر بأسلوب نيتشه وأمثال " اليسوع" لأنهما يتكلمان بواسطة الأمثال والحكم.

ما عرف نيتشه حتى كاد ينسى كل من عرفهم من كبار الكتاب والشعراء. وعلى قدر ما كان يطيب

¹⁰⁶ جبران خليل جبران : نعيمه

أن يختلي به كان يلذه في البدأ أن يحدث غيره عنه وأن يهدي أصحابه ومعارفه إليه.

يروى ميخائيل نعيمة أن جبران كتب أمريكية اسمها ' أديل واطسن' التي تعرفها جبران على أثر نزوله نيويورك، يلح عليها أن تقرأ زرادشت؛ .

" عزيزتي مس واطسن

بلى. نيتشه جبار وأي جبار. وكلما طالعتك حبك له. لعله بين أرواح العصر الحديث أكثرها نشاطا وأوفرها حرية. وستبقي كتاباته بعد أن يمض الكثير نحسه اليوم عظيما. أرجوك ، أ. ر. ج - و. ك أن تقرئي هكذا تكلم زرادشت! حالما يتيسر لك ذلك. لأن الكتاب في نظري من أعظم ما عرفتة كل العصور. تعالى لعندي قريبا ودعينا نتحدث عن نيتشه!"

جبران خليل جبران

كان نيتشه صديق وحدته. وسكر جبران بمبادئ
نيتشه وآراءه، نرى هذا التأثير في كتابه " النبي " -

الباب الثامن

النبى لجبران وزرادشت لنتشه

نظن أن للدراسة المقارنة بين كتاب لجبران وكتاب " هكذا يتكلم زرادشت" ميزة قوية الصدد. لأنه نرى في هذين الكتابين تشابها ظاهرا في القالب والمادة. خلق جبران رجلا دعاه ' المصطفى' وخلق نيتشه 'زرادشت' وكان لهذين البطلين تشابه عام بالأنبياء السامية. وكان زرادشت رجل تاريخي، مؤسس الديانة المجوسية لكن الزمان الذي عاش فيه لا يزال مجهولا. وبعض المؤرخين يقولون أنه عاش حرب "طروادة" بستة آلاف سنة.¹⁰⁸ لا شك أن جبران قد أخذ شخصية " المصطفى" وصورته من الأنبياء الشرق مثل المسيح . وأن سامعيه كانوا يخاطبونه " يا نبي الله"

وقد اتخذ جبران اسم بطله ' المصطفى اختيار الاسم وحده ما يحمل على التجلة والاحترام. لأن كلمة تسمعا من فم إنسان، عليه وشاح النبوة، وقعا وتأثيرا من الكلمة عينها تسمعا من رجل عادي.

¹⁰⁸ Will Durant, Our Oriental Heritage Simson and Schuster, New York 1954 p 365

وهكذا بكلمة واحدة، رفع جبران الفنان قيمة شعر جبران الشاعر إلى مستوى النبوة. وجبران الفنان عرف يخلع على مصطفى وشاح النبوة. هو يصور مصطفى مثل رجل غريب في مدينة اسمها ' اورفليس'؛ فيها اثنتي عشرة سنة في انتظار سفينة، التي قادمة لتعود به إلى الجزيرة التي هي مسقط رأسه. ثم يصعد به أكمة خارج المدينة حيث يبصر سفينته في الضباب. فيثير في قلبه العواطف المتضاربة لذة الإنعتاف من الغربة وألم الوداع. يقول جبران:

" وظل المصطفى المختار الحبيب، الذي كان فجرًا لذاته يترقب عودة سفينته في مدينة " اورفليس" اثنتي عشرة سنة¹⁰⁹ ليركبها عائداً إلى الجزيرة التي ولد فيها.

وفي السنة الثانية عشرة في اليوم السابع إيلول، شهر الحصاد، صعد إلى قمة إحدى التلال وراء جدران المدينة وألقى نظرة عميقة إلى فرأى سفينته تمخر عباب البحر مغمورة بالضباب"¹¹⁰.

¹⁰⁹ مدة إقامة جبران في نيويورك جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة
¹¹⁰ النبي : جبران خليل جبران ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1997 ، ص 25

نفهم من هذه العبارات إلى أي حد أحب مدينة
غربته وأهلها وإلى أي حد أحبوه. ومن بعد ذلك
المدينة. وإذ يبصر أهلها ويدركون أنه مودع يتركون
أعمالهم ويتقاطرون إليه ويلحون عليه بالبقاء بينهم.
فلا يجيبهم إلا بالصمت والدموع. وأخيرا يسير إياهم
الساحة الكبيرة أمام الهيكل. وهناك تخرج من الهيكل
رائية اسمها 'المترا' فيرمقها المصطفى بحنان كلي.

" وحدث، إذ ذاك، أن امرأة عرافة خرجت من المقدس اسمها المطرة.

فنظر إليها نظرة مألها الحب والحنان، لأنها كانت أول من سعى إليه وآمن به، مع أنه وضحاها في مدينتهم"¹¹¹

" المترا" هذه تدرك أنه لا مرد لعزم المصطفى، لأنها تعرف عظم شوقه إلى 'أرض تذكاراته أمانيه الكبرى'. فتطلب إليه أن يحدثهم قبل الوداع عن أنفسهم وعمما عرفه بالوحي من كل ما هو بين والموت، بادئة بالحب والمحبة. وهكذا تفتح المجال فسيحا للمصطفى ليكشف لسامعيه علائقهم بعضهم بعض ومع الحياة. لا كما يرونها بأعينهم بالأوهام. بل كما يراها هو بعين روحه الصافية في عالم الروح الصافي. فيمضي في حديثه الطاهر مليئة بالحكم والأمثال. ولا ينتهي من علاقة حتى السامعين أن يحدثهم في أخرى. بعد أن يلقي عليهم خمسا وعشرين موعظة في خمسا وعشرين

¹¹¹ النبي : جبران خليل جبران ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ص 33

جهات الحياة الإنسانية يودعهم وداعاً مؤثراً وينصرف عنهم إلى بلاده.

هذا هو القالب الذي اختاره جبران ليسكب خلاصة أفكاره في الناس وحياتهم. وهو قالب يليق بما يحمله، وما يحمله يليق به. لكنه لم يكن لكل من صياغة جبران. فشكله الإجمالي مستعار من نيتشه وزرادشت. فكأن جبران الذي يخلص من سطوة أفكار نيتشه لم يتخلص من سطوة أساليب البيانية والفنية. ولم يكن يعلم أنه لم يتخلص. وكان زرادشت نيتشه لأفكاره جبران أيضاً أظهر فلسفته ومبادئه بواسطة لسان 'المصطفى' وزرادشت نيتشه غريباً بين الناس ناثراً عليهم أفكاره.

وعندما تتعب روحه من الغربة العزلة الملهمة، يتركهم ويعود إلى 'جزائر السعيدة'. و'المصطفى' جبران ينشر مواعظه على الناس، ثم بعد غربته بينهم إلى الجزيرة التي هو مسقط رأسه!!

زرادشت نيتشه يودع تلاميذه في آخر القسم الأول

من الكتاب، ويقول لهم في ما يقول

"أنا لن أعود إليكم إلا متى أنكرتموني" ¹¹²

ومصطفى جبران يودع أصحابه قائلاً في بعض

يقوله لهم:

"أما إذا تلاشى صوتي في آذانكم، وطار حبي

ذاكرتكم فإني عائد إليكم مرة ثانية" ¹¹³.

زرادشت نيتشه في أول القسم الثالث

للعودة من الجزائر السعيدة إلي العالم، فيصعد

عالياً، وفي صعوده يكتشف قلبه وآلامه ثم يشرف

البحر فيخاطبه هكذا:

"وأنت أيها البحر القائم الحزين، المنبسط تحتي

أيها القدر وأيها البحر، وإليكما انحدر الآن" ¹¹⁴

¹¹² Thus Spoke Zarathustra, Nietzsche, New York : Penguin Books, P. 103

¹¹³ النبي : جبران خليل جبران ، ص 123

¹¹⁴ Thus Spoke Zarathustra, Nietzsche, New York : Penguin Books, P. 174

ومصطفى جبران خليل جبران يصعد هضبة خارج
أورفيليس، ويخاطب قلبه طويلا ثم يرى البحر، فيخاطبه
هكذا:

"وأنت أيها البحر الشاسع، أيتها الأم الهاجعة،
وحدك السلام والحرية للجدول وللنهر- سيدور
الجدول دورة بعد. سيهمس بعد همسة في هذه الغاب-
ومن بعدها سأتيك قطرة لا تحد إلى محيط لا يحد..."¹¹⁵

نرى أن زرادشت هو نفس جبران خليل جبران،
المصطفى هو نفس جبران خليل جبران. وكما
نيتشه طرح على زرادشت نقابا من التمويه
والمجازي يحجبه عن عيون الذين يجهلون من قارئيه-
هكذا طرح جبران خليل جبران على المصطفى نقابا
المجاز والرموز يحجبه عن من ليس يعرفه- أما من يعرف
بيئة حياة جبران خليل جبران فيرى بعض ظروف
وكل أشواقه في المصطفى وظروفه وأشواقه- ونعرف
أن مدينة 'أورفيليس' التي كان فيها غريبا يترقب
سفينته، فما هي إلا مدينة نيويورك أو أميركا- ونجد أن

¹¹⁵ النبي : جبران خليل جبران ، ص 28

رائية 'الميترا' التي اكتشفتها وأمنت به قبل كل الناس
إلا ماري هاسكل. والجزيرة التي كان المصطفى يشترك
العودة إليها

غير لبنان. ولا وعده لأهل أور فليس بأنه سيعود
إليهم سوى إيمانه بعقيدته التناسخ الأرواح. لأنه
يعتقد ويقول في بعض كتبه أن الموتى الذين لم
دورة الحياة الكاملة يعودون حتما إلى الأرض
عليها ويكملوا العلائق التي تركوها عند موتهم. ونجد
غربة المصطفى في أورفليس غربة الروح عن ربها أثناء
دورتها الأرضية. وعودتها إلى الجزيرة، عودة إلى مصدر
الحياة الأسمى. ولو استعار جبران خليل جبران قالب
نيتشه لكتابه، لم يستعار الروح الكتاب منه. وإنما
نتيجة خياله وأفكاره. أما تلك الروح فهي
الروح الفيضانية التي تستقي منه كل روح ومهما نرى
التشابه بين كتاب النبي وبين بعض كتب الصوفية. ولكنه
قال جبران خليل جبران كل بأسلوب جديد، ويفوق
انسجامه وجمال ألوانه ونرى أيضا وفرة
والاستعارة والكناية طول هذا الكتاب. لأن جبران

**جبران قد بلغ أقدس مقدرته الفنية في اختيار التشابه
المبتكرة وابتداع الاستعارات والمجازات.**

**ويختلف جبران خليل جبران في نظرياته مع نيتشه.
لأن نيتشه ينظر إلى الحياة بنظرة سلبية
جبران خليل جبران ينظر إلى الحياة بنظرة إيجابية،
وفكرته ناضجة بعكس نيتشه.**

الباب التاسع

النبي

ظهر كتاب النبي عام 1923م في الإنكليزية
ترجم إلى اللغة العربية. والذي يتطلع كتابات جبران
العربية والإنكليزية، يرى في الأسلوب طابعا يميزه
سواه. وفي هذا الكتاب قد خلق جبران خليل
شخصا دعاه 'المصطفى' وجعل روحه مضيئة ومنيرة
لمن حوله. وكان سامعوه يخاطبون 'يا نبي الله'.

وإذا امعنا النظر وراء صياغة هذا النبي،
أشكالا مبهمه لأنبياء الشرق، وهكذا نرى في
مشابهة لأقوال الصوفية والبوذية والهندوسية. وقد
أظهر جبران خليل جبران إيمانا بالتقمص في 'النبي'
لكن المتصوفة المسلمين لم يؤمنوا بالتقمص، فلا
يكون جبران خليل جبران قد تشرب هذه العقيدة
الهندوسية أو البوذية.

يصور جبران خليل جبران 'المصطفى' أنه غريب
في مدينة اسمها 'أورفليس'، قضى فيها اثنتي عشرة

سنة في انتظار سفينته لتعود به إلى مسقط رأسه،
ولكن أهل المدينة هم يطوفون حوله بالبكاء، لأنهم كانوا
يحبونه حبا جما، ويحزنهم فراقه. والمصطفى لا يجيبهم
إلا بالصمت والدموع. وأخيرا يسير معهم إلى ساحة أمام
هيكل فيطلب منه أهل المدينة أن يحدثهم قبل
عما عرف بالوحي عن كل ما هو بين الولادة والموت،
فيلقى عليهم خمسا وعشرين
وعشرين جهة من جهات الحياة الإنسانية. ثم يودعهم
وداعا، وينصرف عنهم إلى بلاده حيث يؤكد لهم أنه سيعود
إليهم.

في النبي أشرف جبران خليل جبران بخياله
الحياة فرأى جوهرها واحدا، وهو المحبة. ورأى الناس
شركاء في جوهرها لا يتميز واحد منهم عن الآخر إلا
ما أدرك الواحد ذلك الجوهر وجهله الآخر. وهذا الجوهر
يذيع ذاته لكل الناس على السواء. لكن بعضهم لا يسمعه
ولا يبصره لكثرة ما في أذنيه من
المشوشة. وما على بصره من غشاوات الوهم الكثيفة.
أما الذي طهر أذنيه من ضجة الحواس الخارجية

غشاوات الوهم عن البصيرة، فليس يسمع أو يبصر من الحياة الا جوهرها الصافي. وعندئذ فهو لا يحب بعضها ويكره بعضها بل يحبها بكليتها ويتمثل لها فيصبح وإياها. يقول المصطفى لأهل أورفيلس: =

" إذا ما أحببتهم فلا تقولوا : إن الله في قلوبنا،

أخرى بكم أن تقولوا: أننا في قلب الله" ¹¹⁶

وهنا يقدم جبران خليل جبران إلينا مسألة فلسفية هي : ومن كان في قلب الله هل يرى وبين الإنسان؟ أو لا يصبح كل إنسان فيه وهو إنسان؟ ومن كان كذلك كيف له أن يقول : أعطيت أو أخذت من فلان؟ أو ليس هو والمعطي عندما يأخذ؟ وإذناك فضل من يعطي من يأخذ لا أكثر ولا أقل.

ومن كان في قلب الله كيف له أن يدين أثيما بإثمه؟

أفي الله إثم؟ إنما الإثم في الإنسان الذي لم يتوصل بعد

إلى ذاته الإلهية. والناس في الإثم سواء.

¹¹⁶ النبي : جبران ، اعداد دجوليانا عبدج الله ، دار الكتاب العربي بيروت ، 1997م ص 37

يقول المصطفى :

" أنتم لا تقدرون أن تفصلوا بين العادل والظالم،
وبين الصالح والشرير. من شاء منكم أن يرفع الفأس
على شجرة ليقطعها باسم الصالح
جذورها أولاً. الحق أقول لكم أنه يجد الجذور الصالحة
والطالحة. والمثمرة وغير المثمرة، ملتفة معا في
الأرض الصامتة. وكما أن ورقة واحدة على الشجرة لا
تصفر إلا بمعرفة الشجرة كلها هكذا لا يرتكب
جريمة إلا بإرادتكم الخفية المشتركة"¹¹⁷

ومن كان في قلب الله كيف له أن يقيم حواجز
شيء و شيء، حتى بين نفسه وبين ما يأكله ويشربه؟

¹¹⁷ النبي : جبران ،اعداد دجوليانا عبدج الله ، دار الكتاب العربي بيروت ص 73

يقول المصطفى :

" ليس لكم أن تحبوا بأريج.. ولكنكم مضطرين إلى القتل لتأكلوا، وإلى سلب صغار البهائم حليب أمهاتها لتطفئوا عطشكم، فليكن أكلكم وشربكم نوعا من العبادة. ولتكن موائدكم مذابح تقدمون عليها الطاهر والبريء من مواليد الغاب والسهل ذبائح لكل هو أطهر وأكثر براءة منه في الإنسان وعندما تذبحون بهيمة قولوا لها في قلوبكم: أن القدرة التي تذبحك تذبحنا .. وما دمك ودمائنا الا العصير الذي يغذي السماء...."¹¹⁸

وفي كتاب النبي يرفع جبران خليل جبران قارئه إلى أرفع المستوى. وهو يستعين في عباراته بالطبيعة ومظاهرها. وماسحا لهجته بمسحة ظاهرة من بعض أسفار ' العهد القديم' ومستعيرا من الإنجيل والقرآن الكريم بعض الرموز والقوالب اللفظية مثل:

¹¹⁸ النبي : جبران ، اعداد دجوليانا عبدج الله ، دار الكتاب العربي بيروت ، 1997م ص 153

" لقد قيل لكم ' كذا وكذا؛ أما أنا فأقول لكم ' كيت

وكيت؛ 'والحق والحق أقول لكم...؛

ونرى أن قالب هذا الكتاب قد أخذ جبران

جبران من كتاب نيتشه هو ' هكذا تكلم زرادشت'، ومن

هذه الناحية، أسلوب جبران خليل جبران مدين للكاتب

الألماني نيتشه. وقد بحثنا هذا في الباب 'نبي جبران

وزرادشت نيتشه'.

يقول صديقه ميخائيل نعيمة عن كتابه 'النبي':

" ما دام الناس يولدون، ويموتون، ويأكلون،

ويشربون، ويحبون، ويبغضون، ويتزوجون، ويتناسلون،

ويفرحون، ويحزنون، فسيبقي بينهم من يفتش

معاني الحب والزواج وسواهما عن علائق الحياة،

يرتاج إلى تفسيرها كما فسرها جبران خليل جبران..."¹¹⁹

وضع جبران خليل جبران لكتابه " النبي " اثني عشر

رسماً عشرة منها بالأدهان المائية واثان بالرصاص.

وهما رسم المصطفى في أول الكتاب و

¹¹⁹ سبعون مجموعة الكاملة : نعيمة ، دار الصادر بيروت 1966، ص 724

في آخره¹²⁰. وما بقي من الرسوم قد جاء بمثابة تعليق على المتن، وأحياناً بمثابة من فوق المتن، بعيدة وانسجام فني بديع.

وكان لكتاب " النبي " تأثير عظيم في نفوس الأميركيين وكان يقرأ في كنيسة أميركية في نيويورك. وكانت هذه الكنيسة كنيسة أسقفية (ابيسكوبالية) تدعى كنيسة القديس مرقس في الباورئ. وهي من الكنائس في المدينة. ولها قسيس اسمه وليم غنري. ولهذا القديس نظر غريب في العبادة وطقوسها. وكان يقرأ بعض أبواب " النبي " في هذه الكنيسة¹²¹.

وكان في ' النبي ' من عصير الفكر الصافي، وهج الخيال المتوقدة. فجبران قد عرف كيف يجعل منها شجرة كاملة بفروعها وأغصانها، وكيف يدفن جذورها في تربة الحياة البشرية، حيث البشرية حية.

¹²⁰ جبران خليل جبران : نعيمه ص 234
¹²¹ جبران خليل جبران : نعيمه 238-239

الباب العاشر

أهم مؤلفات جبران

1. الموسيقى

أول كتاب لجبران. وهذا الكتاب يحتوي على مقالا طويلا تحدّث عن الموسيقى وتأثيرها، وازدورها الأمم. وإذا نقرأ " الموسيقى " نرى نمط في يتميز بسهولة التعبير، وحلاوة التلوين ولطافة الوقع، وصدق النية وسلامة الذوق وعمق الإحساس والنزعة إلى الإبداع في الوصف والتشبيه. فهو يتكبد المألوف من الجناس والمجاس. ويحاول تحميل الكلمات المعاني فوق ما نرى حمله على السنة والشعراء، مثلما يحاول تجريدها من التفاهة والفضول. فيقول في الموسيقى إنها : " جسم من الحشاشة روح من النفس وعقل من القلب"¹²².

ثم يقول: " والألحان في قضائي أشباح الذات الحقيقة أو أخيلة الشعائر الحية "¹²³ فيشبه جبران خليل

¹²² الموسيقى : جبران ، المجموعة الكاملة.

¹²³ المرجع السابق

جبران الألمان بالأشباح، يجعل الذات أشباحاً، ويفصل بين الذات الحقبة والذات الموهومة، وبين المشاعر الحية والمشاعر الميتة، ثم يجعل للمشاعر أخيلة.

ومن بعد أن يمر مرًا سريعًا بشتى الحالات ترافقها الموسيقى، ويأتي على مكانتها عند الشعوب، ويصف تأثير النهاوند والصبيا والرصد الألمان العربية، يختتم المقال بما يشبه النشيد تمجيد الموسيقى والموسيقين من غربيين وشرقيين وينتهي بهذا العبارات: "كبر أيها الكون الأولى بثوا سمائك أنفسهم، وملؤوا الهواء أرواحاً لطيفة، وعلموا الإنسان أن يرى بسمعه ويسمع بقلبه"¹²⁴

وعندما نقرأ هذا الكتاب، فلا نشعر أننا قد اكتسبنا شيئاً كنا نجعله من علم الموسيقى أو فلسفتها. ولكننا نشعر أننا قد شربنا جرعة من خمرة من الموسيقى. لأن جبران خليل جبران كتب هذا الكتاب بأسلوب شعري أقرب إلى الإتجاه الميتافيزيقي. ويقول:

¹²⁴الموسيقى : جبران ، المجموعة الكاملة

" فالموسيقي هي لغة النفوس، والألحان، نسيّات
لطيفة تهز أوتار العواطف، هي أنامل رقيقة تطرق
المشاعر وتنبيه الذاكرة فتنتشر هذه ما لو طوته الليالي
من حوادث أثرت فيها بماضي عبر."

" هي نغمات رقيقة تستحضر على صفحات المخيلة
ذكرى ساعات الأسى والحزن إذا كانت محزنة"¹²⁵

2. عرائس المروج

نشر جبران خليل جبران كتابه ' عرائس المروج؛ بعد كتابه 'الموسيقى' وقد ضمنه قصصا ثلاثا: ' رماد الأجيال والنار الخالدة؛ 'ومرثا البانية؛ و'يوحنا المجنون'.

أ) رماد الأجيال والنار الخالدة:

وفي هذه القصة يظهر اعتقاد جبران جبران بالتقمص إذا يروي حكاية عاشقين عاشا السنة 116 قبل الميلاد. وكان أحدهما كاهنا هياك بعلبك يوم كانت في ذروة مجدها وجمالها. فما لبث الموت أن اختطف من الكاهن معشوقته 'تائها في البرية البعيدة هائها مع أسراب الغزلان؛

" ولكن الأجيال التي تمر وتسحق أعمال الإنسان تفني أحلامه، ولا تضعف عواطفه"¹²⁶ يقول جبران خليل جبران أيضا : فالأحلام والعواطف تبقى بقاء الكلي الخالد. وقد تتوارى حيناً وتهج أونة متشبهة

¹²⁶ عرائس المروج : رماد الأجيال والنار الخالدة : مجموعة الكاملة لجبران

بالشمس عند مجيء الليل، وبالقمر عند مجيء
الصباح"¹²⁷.

لذلك يعود العاشقان إلى الأرض في ربيع سنة
1890 للميلاد، ويعودان إلى بعلبك عينها. وقد
هياكلها طولاً. ولكنهما يعودان في زي فتى
الأغنام، وفتاة قروية عارية القدمين تحمل جرتها على
كتفها لتملاً من الجدول، فتقول الفتاة لفتاها:

"قد أعادت عشترت روحينا إلى هذه الحياة،
نحرم ملذات الحب، ومجد الشبيبة يا حبيبي"¹²⁸ ويتعاقق
الحبيبان ويسكران بخمرة القبل وينام كل منهما
بذراعي الآخر إلى أن مال الظل وأيقظتهما حرارة
الشمس.

وقد أراد جبران خليل جبران أن يدلل على عقيدة
تناسخ الأرواح التي اتصلت إليه إما عن طريق المطالعة
وإما من أفواه بعض معارفه، والعقيدة تناسخ

¹²⁷ المرجع السابق

¹²⁸ عرائس المروج : رماد الأجيال والنار الخالدة : مجموعة الكاملة لجبران

أقدم من أن نحدد لها بداية. ولكنها قد أتاحت لقلم
 جبران خليل جبران فرصة نادرة يفلت فيها من
 العرف والتقليد، ويمضي يتغنى بالحب وسحره وجبروته
 وجماله، ويناجي الآلهة، ويتغزل بمحاسن الطبيعة،
 ويتغلغل في المفاوز القائمة بين ما ندعوه روحا وبين ما
 ندعوه مادة. ويروي عطشه إلى الأنعام العذبة والألوان
 الرقراقة والتشابه المبتكرة.

وفي " الموسيقى " تشعر أن الفتى الذي
 في صوته وعود كثيرة، وفي يديه ثمار لم تنضج بعد، أما
 في " رماد الأجيال " نحن نشعر أن ذلك الفتى
 ببعض وعوده، وأن بعض الثمار التي في يديه
 صالحا للأكل. ونقرأ في قوله من التعبير الجديدة
 والتشابه المبتكرة مثل: " في تلك الساعة المملوءة
 بسحر الهدوء الموحدة بين أرواح النيام وأحلام اللانهاية "
 أو قوله: " ووشحت تمثال المعبودة بنقاب لطيف
 برقع الأمانى المحيط بالقلب البشري " أو قوله: " ومات
 قلبي في داخلي والتهب دموعي في عيني "

ثم يحدثنا جبران خليل جبران، وهو ما يزال دون الخامسة والعشرين من عمره، حديث الصوفيين عن الذات المقتبسة والذات المعنوية الخفية بالأحلام، المترفعة عن شرائع الإنسان وتعاليمه! وعن ذلك الحب الذي نسمعه متكلمًا عندما تخرس الحياة ونراه منتصبًا كعمود النور عندما تحبب الظلمة كل الأشياء".¹²⁹

(ب) مرتا البانية

يصور جبران في هذه القصة فتاة قروية فقيرة الحال، طاهرة القلب والجسد، يغويها رجل من المدينة فتحمل منه وتلد غلامًا. ثم يبذلها وطفلها الحاجة في أحضان الدعارة، ويهتدي إليها المؤلف على فراش الموت فيدور بينهما حديث طويل.

يقول جبران معزيا:

¹²⁹ عرائس المروج : رماد الأجيال والنار الخالدة : مجموعة الكاملة لجبران

" أن أدراَن الجسد لا تلامس النفس النقية، الثلوج

المتراكمة لا تميت البذور الحية. وما هذه الحياة سوى

بيدر أحزان- تدوس عليه أغمار النفوس قبل أن تعطي

غلتها- ولكن ويل للسنابل المتروكة خارج البيدر- النفس

يا مرتا حلقة ذهبية مفروطة من سلسلة الألوهية-¹³⁰"

فتجيب مرتا المحتضرة : " نعم أنا مظلومة.

شهيدة الحيوان المختبئ في الإنسان- أنا زهرة مسحوقة

تحت الأقدام..."¹³¹

ج) يوحنا المجنون

وفي هذه القصة يصور جبران ظلم الرهبان بمقابل

سذاجة القروي والكاتب يوقظ في نفوسنا الشفقة على

بطل القصة والغضب من فظاظة الرهبان الذين حبسوا

عليه- فيقول الفتى القروي في حفلة تكريس كنيسة

جديدة مناجيا يسوع الناصري:

"أنظر يا يسوع الناصري الجالس في قلب

النور الأعلى.. أنظر أيها الراعي الصالح، فقد نهشت

¹³⁰ مرنا البانية ، عرائس المروج : مجموعة الكاملة لجبران

¹³¹ مرنا البانية ، عرائس المروج : مجموعة الكاملة لجبران

مخالب الوحوش ضلوع الحمل الضعيف الذي حملته على منكبيك .. أن صراخ البائسين المصاعد من جوانب الظلمة لا يسمعه الجالسون باسمك على العروش.. ونواح المحزونين لا تعيه آذان المتكلمين بتعاليمك المنابر.. تعال ثانية يا يسوع الحي، واطرد باعة الدين من هياكلك.. فقد جعلوها مغاور تتلوى فيها أفاعي روغهم واحتيالهم.."¹³²

3. الأرواح المتمردة

نشر جبران كتابه " الأرواح المتمردة في عام 1908 في نيويورك.. وقد نشرته، كما نشرت سالفة جريدة 'المهاجر' لصاحبها أمين الغريب، وفي صدره المقدمة التالية:

" إلى الروح التي عانقت روحي، إلى القلب سكب أسرارهِ في قلبي، إلى اليد التي أوقدت شعله عواطفي أرفع هذا الكتاب"¹³³ نرى بين عرائس المروج وبين الأرواح المتمردة فسحة جدا قصيرة

¹³² يوحنا المجنون : عرائس المروج، مجموعة الكاملة لجبران
¹³³ الأرواح المتمردة : مجموعة الكاملة لجبران

الزمان. ولكن بينهما، وإن تشابهت المواضيع والمرامي،
 فرقا واضحا من حيث المعالجة والأداء. لأن
 الشاعر وجبران الرسام وجبران المفكر في سياق
 الزمان¹³⁴.

وكتاب الأرواح المتمردة يحدث عن أرواح تمردت
 على التقاليد والشرائع القاسية التي تحد
 الفكر والقلب. يفتح جبران الكتاب

بحكاية " السيدة وردة" فيصورها امرأة بعيدة
 الفكر، صادقة القلب، جميلة الوجه، نبيلة الروح
 شاء لها أهلها يوم كانت لا تفقه بعد معنى الزواج أن
 تكون زوجا لرجل غني يفوقها سنا بكثير. فما لبثت
 كرهته إذ تفتح الحب في قلبها عندما التفت الشاب الذي
 أثار كوامن نفسها، مثلما أثارت كوامن نفسه، فهجرت
 زوجها والتحقت بحبيبها غير مبالية بنقد الناس، وعتابهم
 الذين " لا يمكنهم أن يدركوا كنه أوجاع المرأة
 تقف نفسها بين رجل تحبه بإرادة السماء، ورجل تلتصق
 به بشريعة الأرض"¹³⁵.

¹³⁴ مقدمة مجموعة الكاملة لجبران : ميخائيل نعيمة.

¹³⁵ الأرواح المتمردة : مجموعة الكاملة لجبران

قد تصلح حكاية السيدة وردة" لأن تكون مقالة نقدية عن مظالم التقاليد الزوجية. نرى أن هذه القصة من أولها إلى آخرها شكوى امرأة مظلومة.

وفي قصة 'صراخ القبور' يقول جبران قصة حكم عليهم أمير بالقتل من غير أن يسألهم سؤالا، ومن غير أن يسمع شهادة شاهد في قضاياهم. أولهم اتهم بقتل ضابط. ولكنه قتل دفاعا عن عرضه وشرفه. وثانيهم فتاة اتهمها زوجها بالخيانة. ولكنها في الواقع ما خانته. وثالثهم شيخ اتهموه بسرقة بعض الأواني الذهبية من كنيسة الدير. ولكنه في الواقع ما سرق زنبيل من الدقيق، لأنه كان يتضور وأولاده جوعا من أن طرده الدير من خدمته.

وفي قصته " مضجع العروس" يقول جبران أنها حادثة جرت في شمال لبنان. يعود جبران إلي الأسلوب الذي قد رأينا في جميع حكاياته الزواج الكراهي وظلم الحكام والرهبان. فهناك فتاة وفتى يتعشق واحدهما الآخر. ولكن الفتاة تزف رجل لا تربطها به أقل عاطفة، وذلك

لها الوشاة أن حبيبها هام بغيرها. وفي ليلة زفافها،
والناس في هرج ومرج، تبصر حبيبها بين
فترسل إليه من يدعوه لمقابلتها سرا في حديقة البيت.
ويجتمع الحبيبان فيعلن الفتى أنه مال عنها إلى سواها.
ولكنها لا تصدقه وإذ يصر على قوله
وتطعنه. فتدعوا الناس بأعلى صوتها إلى عرسها
الحقيقي. وفوق جثة العروس تلقى خطبة
جمال الحب وقساوة التقاليد. فنقول للناس:

" أنتم لا تفهمون كلامي لأن
الكواكب"¹³⁶ ثم تخاطب الرجل الذي زفت إليه برغم
أنفها فتقول له : " وأنت أيها الرجل
استخدم الحيلة والمال والخباثة ليصير له زوجة، أنت رمز
هذه الأمة التعسة التي تبحث عن النور
وتترقب خروج الماء من الصخرة وظهور الورد
القطرن."¹³⁷

ثم هي تغمد الخنجر في صدرها،
الكلام حتى ينقطع قلبها عن

¹³⁶ مضجع العروس : الأرواح المتمردة المجموعة الكاملة لجبران
¹³⁷ مضجع العروس : الأرواح المتمردة المجموعة الكاملة لجبران

بجملة عنيفة على الكاهن الذي رفض الصلاة على
 المنتحرين مهدداً باللعنة كل من يجترأ على
 ولكن فتاة " متمرده " هبت للكاهن تعنفه وتتحداه : " أنا
 أبقي ههنا أيها الكافر الأعمى، وأنا أحرسها حتى
 الفجر وأنا أحفر لهما قبراً تحت هذه الأغصان
 المتدلّية.¹³⁸"

أما قصته " خليل الكافر" فيكاد يكون الجزء الثاني
 ليوحنا المجنون، مع بعض التبديل في الظروف والأسماء
 والأشخاص. فهو كذلك في خصام مع الراهبين. وهو
 يلقي خطبة طويلة في مظالم الحكام والأديار. ويقول:
 من منبع النيل إلى مصب الفرات.. من
 الجزيرة إلى جبهة لبنان... ومن شاطئ الخليج إلى
 الصحراء، ترتفع نحوك الأعين مغمورة بذوبان الأفئدة.
 فالتفتي أيتها الحرية وانظرينا... اسمعينا أيتها الحرية.
 ارحمينا يا ابنة ائنا.. انقذينا يا أخت رومة، خلصينا
 رفيقة موسى.. اسعفينا يا حبيبة أشعيا.. علمينا

¹³⁸ المرجع السابق

عروسة يوحنا. قوي قلوبنا لنحيا، أو شدي سواعد
أعداءنا علينا فنغني، وننقرض ونرتاح..."¹³⁹

4. الأجنحة المتكسرة

في كتابه " الأجنحة المتكسرة"، التي صدرت
نيويورك من بعد الأرواح المتمردة بأربع سنوات، يروي
جبران رواية حبه الأول، يوم كان ما يزال
بيروت، ويرويها بأسلوب شعري، وجداني مشبع بروح
التفديس للحب، وكل ما يبعثه
سماوية وآلام لا تطاق. وقد تغنى جبران بآمال القلب
البشري.

لقد حاول جبران في ' الأجنحة المتكسرة' أن
أكثر من قصة سلمى كرامة فتاة في مستهل الشباب
ولبس بين النساء من تماثلها رقة وجمالا!
وحيدة والدها الذي يحبها حتى العبادة والذي
بأخلاقه بين الرجال إذ جعلته الثروة فاضلا والفضيلة
مثيرا"¹⁴¹ وهو صديق قديم لوالد جبران. وصادقته للوالد

¹³⁹ خليل الكافي : الأرواح المتمردة المجموعة الكاملة لجبران

¹⁴⁰ الأجنحة المتكسرة : مجموعة الكاملة لجبران

¹⁴¹ المرجع السابق

جلبت الولد إلى بيته، حيث عرف سلمى لتمكن الحب بين

قلبه وقلبها من اللحظة الأولى. ولكن المطران سلمى لابن أخيه. فما كان الوالد إلا أن أجاب بالإيجاب من غير أن يستشير ابنته بكلمة. ولا كان من الإبتة أجابت والدها " نعم" من غير أن تأخذ رأي حبيبها الأمر.

وكان الزواج شقاء. وكانت مأساة ملؤها التفجع

والتوجع، وتبادل الشكوى الشعرية، والفلسفية الحبيين الذين راح يجتمعان خلسة في هيكل مهجور لعشروت. ثم قضى الوالد المستسلم استسلاماً أعمى لمشيئة المطران. والعجيب أنه وهو على فراش الموت، يوصى ابنته:

" لا تدعوا كاهنا إلى جانب فراشي، لأن تعازيمه

تفكر عن ذنوبي إن كنت خاطئاً، ولا تسرع بي إلى إن كنت باراً"¹⁴²

وخشيت سلمى على حبيبها من أن يدرى الناس بما

بينها وبينه. ولذلك اعترضت أن تضحى

¹⁴² الأجنحة المتكسرة : مجموعة الكاملة لجبران

المحدودة" في سبيل " المحبة غير محدودة" ثم حملت سلمى ووضعته غلاما، ولكن مات عقب التحقت أمه به بعد قليل. وفي هذه القصة يصور تصويرا جميلا صورة المرأة البائسة الضعيفة.

5. دمة وابتسامة

وكان جبران ينشر مقالات من الشعر المنشورة تحت عنوان " دمة وابتسامة" بين 1903 و 1908 جريدة المهاجر وفي عام 1914 جمع جبران المقالات ونشر في كتاب بعين العنوان. وكان نسيب عريضة الذي شجع جبران لجمع هذه المقالات في كتاب. وفي هذا الكتاب ستة وخمسون مقالا، كتبها جبران بأسلوب القصة. ومنها 'مزامير داود' و'نشيد سليمان؛ وسفر أيوب؛ و'مراثي أرميا؛ و'تخيلات أشعيا؛ و'عظات الناصري'. ولا عجب فقد كان التوراة نصيها العربي والإنكليزي. ابعث الأثر على الأسلوب الذي اختاره جبران لنفسه. فتفرد به بين كتاب العرب، وكتاب الإنكليز. ولم يسبقه إليه عند الفرنجة غير نيتشه¹⁴³.

ونرى في " دمة وابتسامه" تاريخ قلب جبران وفكره وتاريخ حياته حتى عام 1908م. فالهواجس والعواطف التي أثارها فيه سنوات صرفها في بيروت، وسنوات في باريس، زاد في خلالها

¹⁴³ مقدمة التي كتبها ميخائيل نعيمة لمجموعة الكاملة لجبران

الأوروبية، ومطالعاته الدائمة في الآداب الغربية والشرقية، والمصيبات التي نزلت له إذ اختطف السل أخاه من أمه وشقيقته الصغرى وأمه، وإذ احترقت رسومه باحتراق البناية التي كانت معروضة فيها. كل ذلك وما يثيره من تأملات في

الحياة وشؤونها تبصر له آثارا بارزة في الكتاب. وأبرزها وأجملها ما جاء في مقاله 'يوم مولدي'.

ويقدم جبران إلينا في كتابه أكوابا مليئة الكآبة والوحشة وأخرى مفعمة بخمور الحب والأمل. ثم يكثر جبران على ذكر المحبة ويمجد الإنسان. وهو في مقاله 'القوة العمياء'.

" أن من وراء الكائنات حكمة سرمدية تتدع كوارث ونوازل نراها محاسن نتائج لا نراها"¹⁴⁴ ثم المقالة بهذه الكلمات البعيدة الغور والقرار.

"على أنني وجدت بين هذه النكبات والرزايا الهائلة الوهية الإنسان، واقفة كالجبار تسخر

¹⁴⁴ القوة العمياء : دمة وابتسامة المجموعة الكاملة لجبران

بحماقة الأرض وغضب العناصر ومثل عمود نور منتصبه
بين 'خرائب بابل؛ و'نينوي؛ و'تمر؛ و'مباي؛ و'سان
فرانسيسكو؛ ترتل أنشودة الخلود قائلة: " لتأخذ الأرض
مالها. فلا نهاية لي"¹⁴⁵.

¹⁴⁵ المرجع السابق

6. المجنون

" المجنون " أول كتاب لجبران بالإنكليزية الذي نشره جبران في سنة 1918م، وينطوي هذا الكتاب على خمسة وثلاثين فصلا كان قد نشر قسما منها المجلات العربية والإنكليزية. وفيه يعاتب جبران التقاليد الفاسدة الإجتماعية والظلم والجهل، فسخر من غباوة الفلاسفة في فصل 'اللعين'، وعرض بالرياء الإجتماعي في 'بين هجة ويقظة' و 'الأم وابنتها'، وهجا ساخرا من الناس في 'الكلب الحكيم' و غيرها. كذلك عرض في بعض منها نظريته في التقمص. والمجنون، عند جبران، في كتابه " المجنون " وفي سواه، رمز السيطرة على الذات، والتحرر التقاليد الإجتماعية الفاسدة. أن جبران الثائر الظلم والجهل، والجرئ على انتزاع الأقنعة التي يلبسها الإنسان العصري فيطمس بها شخصيته.

7. المواكب

المواكب قصيدة طويلة التي أصدرها جبران
 1919 على نفقته الخاصة، وزينها بطائفة من الرسوم
 البديعة. فهي تمثل ناحية جديدة من بيان جبران المتعدد
 النواحي، وهي المرة الأولى، والأخيرة، التي
 جبران فيها أن يتقيد بالوزن والقافية لخلق عمل فني .
 فقد سبق له أن نظم القليل من الشعر الموزون
 حالات عاطفية. أما في هذه القصيدة فيلجأ جبران
 فكره قبل قلبه. ويقدم إلينا خواطر فلسفية في
 شؤون الحياة البشرية كالخير والشر والدين
 والعدل وغيرها.

وفي هذه القصيدة يجري تياران في اتجاهين
 متعاكسين، وليس من صلة بينهما إلا التي يقيمها
 الشاعر في وجدان القارئ. والقصيدة في تيارها الأول
 من البحر البسيط. وفي الثاني من مجزوء
 والتياران يبدوان كما لو كانا حوارا بين شخصين.
 ولكنهما ليسا كذلك . بل جل ما في الأمر أن

الحياة بظاهرها القبيح وباطنها الجميل، والثاني يمثلها وحدة روحية لا باطن لها ولا ظاهر. الأول يتبرم بما الحياة البشرية من رياء وضعف وذل وقلق ونضال بين الخير والشر. والثاني يمجّد الحياة في الغاب 'حياة الفطرة والسليقة؛ حيث لا خير ولا شر، بل استسلام كامل إلى المشيئة العاقلة المدبرة التي تتسامى فوق الشر والخير.

يقول نسيب عريضة في مقدمته لهذه القصيدة،

الصوت الأول صوت شيخ والثاني صوت شاب. أما

الواقع فالصوتان ليسا سوى صدى النزاع الداخلي

نفس جبران ما بين إيمانه بفطرة الإنسان الإلهية

ما كان يبصره في حياة الناس من قبح وتشويش. يفتح

الصوت الأول القصيدة بأبيات في الخير والشر،

ينتقل إلى الحياة فالدين، فالعدل، فالحق، فالعلم،

فالحرية، فاللطف، والظرف، فالحب، فالجنون،

فالسعادة، فالروح، والجسد، فالموت. وهذه كلها يجول

فيها جولات طويلة أو قصيرة تتشابه في السعي

الجديد، والجليل في المعنى، وتفاوت في حظوظها

الوضوح والغموض، ومن الإنسجام المعاني والمباني .
ونحن نحس أن جبران يجهد نفسه كثيرا ليروّض
والوزن والقافية ويحاول أيضا أن يخفي اجتهاده.
والصوت الثاني فنسمعه في نهاية كل جولة
جولات الصوت الأول. فإن تبرم الأول بحزن أو بعبودية
أو بجهل، وأن يتحدث عن الحق والعدل
والموت والحياة وما إليها. انبرى الثاني يقول أن " ليس
في الغابات " شيء من ذلك. بل كل ما فيها إلفه وصفاء
وهناء. ويقول في نشيد عن الخمر والسكر:

ليس في الغابات سكر من مدام أو خيال

أعطني الناي وغنّ فالغناء خير الشراب

وأنيّن الناي يبقي بعد أن تغنى الهضاب!"

وينتهي الصوت الثاني بنشيد جميل يخاطب
الصوت الأول فيقول في جملة:

" هل تحممت بعطر وتنشفت بنور

وشربت الفجر خمرا في كؤوس من

أثير؟

وهل فرشت العشب ليلا وتلحفت الفضا

زاهدا في ما سيأتي ناسيا ما قد مضى

وسكون الليل بحر موجه في سمعك

وبصدر الليل قلب خافق في مضجعتك

أعطني الناس وغنّ وانس داء ودواء

إنما الناس سطور كتبت لكن بماء"¹⁴⁶

¹⁴⁶ المواكب : المجموعة الكاملة لجبران

وإذن هو الزهد في الدنيا زهد العارف والقادر، لا
 زهد الجاهل الضعيف. كان يشناق إليه جبران
 يستطيع بلوغه فهو ينتهي بالقصيدة إلى القرار الثاني:
 العيش في الغاب والأيام لو
 قبضي لغدت في الغاب تنتشر لكن هو الدهر في
 نفس له أرب

فكلما رمت غابا راح يعتذر وللتقاديرو سبل
 لا غيرها

والناس في عجزهم عن قصدهم قصرُوا¹⁴⁷
 وكان جبران أقوى الناس شكيمة وأبعدهم هدفاً،
 وأسماهم فكراً، وأصلبهم إيماناً، واتفق أن اهتدى
 تلك الأثناء إلى فردريك نيتشه، سيد
 والمتهكمين.¹⁴⁸ فكانت المواكب نتيجة لتلك الحالة
 القلقة، التي أحسها جبران ما بين قوتين تتجاذبان
 الإيمان بحكمة الحياة، و'عدلها' و'جمالها' في
 تأتية، وقوة النعمة التي أثارها في قلبه نيتشه¹⁴⁹.

¹⁴⁷ المواكب : المجموعة الكاملة لجبران
¹⁴⁸ مقدمة مجموعة الكاملة لجبران : نعيمه ص 25
¹⁴⁹ المرجع السابق

8. العواصف

نشر جبران كتابه " العواصف" في عام 1920

وأبرز تلك المقالات، وأنشدها عنفاً 'حفار القبور'، وأهم

مقالات أخرى هي : 'العبودية' و'يا بني أمي'؛

وأنتم؛ و'أبناء الآلهة وأحفاد القرود؛ و 'الأضراس

المسوسة' و'العاصفة'.

في حفار القبور لا يجد جبران له شغلا أحب

قلبه من حفر القبور، والحاد الأموات، ومن هم الأموات

الذين يلحدهم؟ هم جميع الناس الذين " يرتعشون

عاصفة الحياة، فتظنهم أحياء، وهم أموات منذ الولادة.

ولكنهم لم يجدوا من يدفنهم فظلوا منطرحين

الثرى"¹⁵⁰ ومن الذي علم جبران حفر القبور

الموتى؟ هو الإله المجنون الموجود في

وزمان، الذي إذ يسأله المؤلف عن شغله يجيبه: في

الصباح أجدف على الشمس، وعند الظهيرة ألعن البشر،

وفي المساء أسخر بالطبيعة، وفي الليل أركع

نفسي وأعبدها"¹⁵¹

¹⁵⁰ العواصف : المجموعة الكاملة لجبران

¹⁵¹ المرجع السابق

وكما نرى أن جبران قد تأثر كثيرا بفيلسوف
 الألماني نيتشه، ولكن ما كان يجاري نيتشه في نظرتة
 إلى يسوع. بل وفق ما بين إعجاب نيتشه، وبين
 يسوع بأن جعل من يسوع ذلك السوبرمان الذي
 يبشر به نيتشه فهو يقول في " يسوع المصلوب"
 " ما عاش يسوع مسكينا خائفا؟ ولم يمت متوجعا،

بل عاش ثائرا وصلب متمردا، ومات جبارا"¹⁵²

وفي العواصف نرى مقالات التي قرأنا في
 دمة وابتسامة، لأن جبران يعبر نفسه مثل
 وجداني الذي ما كان يلذه شيء مثلما يلذه أن ينشر
 على الورق، بكل ما فيه من حب
 وألم وشوق وحنين.

يقول في مقطوعته " الشاعر"

"أنا غريب في هذا العالم"

وأنا غريب وقد جبت مشارق الأرض ومغاربها،

أجد مسقط رأسي ولا لقيت من يعرفني..."

¹⁵² يسوع المصلوب ، العواصف : مجموعة الكاملة لجبران

وكذلك مقال الجميل " بين ليل وصباح " الذي
مطلعه " اسكت يا قلبي فالفضاء لا يسمعك " والذي
يختتمه بقوله :

"قم يا قلبي وارفع صوتك مترنما.. فمن لا يشارك
الصبح بأغانيه كان من أبناء الظلام"¹⁵³.

وكذلك مقاله المؤثر " مات أهلي " الذي كتبه يوم
كانت المجاعة تحصد الناس حصدا في لبنان إبان الحرب
العالمية الأولى، والذي يبلغ فيه منتهى الرقة
والحنان، إذ يتمنى لو كان سنبلة من القمح نابته في تربة
لبنان يقتات بها طفل جائع، أو ثمرة يانعة في بساتين
لبنان تجنيها امرأة جائعة، أو طائرا في فضاء
يصطاده صياد جائع.

" مات أهلي على الصليب

ماتوا لأنهم لم يكونوا مجرمين

ماتوا لأنهم لم يظلموا الظالمين

¹⁵³ بين ليل وصباح : العواصف ، مجموعة الكاملة

ماتوا لأنهم كانوا مسالمين" ¹⁵⁴

9. السابق

السابق هو كتاب الثاني باللغة الإنجليزية فيه خمسة

وعشرين مقالا صغيرا بعضها قصص صغيرة رمزية مثل "

الملك الناسك" و " بنت الأسد" و " الحرب

الصغيرة. وبعضها الآخر خواطر صغيرة كما في "المحبة

" و "الطمع" و " التوبة" ونشر هذا الكتاب في

1920.

10. البدائع والطرائف

وقد نشر هذا الكتاب في مصر عام 1923. يشتمل

هذا الكتاب من مقالات التي لم يسبق نشرها في كتاب.

وأهمها 'وعظتني نفسي' و' ارم ذات العماد'

وفي مقالته 'وعظتني نفسي' يعود جبران عن

ثورة الزرادشية، فلا يجد نفسه أرفع من الصعاليك

أدنى من الجبابرة بل يدرك أنه وجميع الناس من

واحد. فذنوبهم ذنوبه. وصلاتهم صلاحه. وضعفهم

ضعفه. وقوتهم قوته.

11. رمل وزبد

نشر " رمل وزبد" عام 1926م. لا يتضمن الكتيب فكرا جبرانيا جديدا، فهو عبارة عن مجموعة حكم، كان بعضها، كما تذهب السيدة بربارة يونغ، صديقات جبران، ملاحظات أبداه لها، ودون بعضها على قصاصات من الورق.¹⁵⁵

12. يسوع ابن الإنسان

يحاول جبران في كتابه " يسوع ابن الإنسان" نشر عام 1918م، ان يتحدث عن 'أقوال المسيح وأعماله؛ كما رواها ودونها أولئك الذين عرفوه. لذلك يضمه انطباعات وآراء مفترضة يدلى بها تلامذة يسوع، وأمه، وبعض أفراد أسرته، وأعداءه وغيرهم. ويتضمن الكتاب عقيدة التقمص التي آمن لها جبران الذي في خاتمة كتابه تحت عنوان " رجل من لبنان بعد عشر قرنا".¹⁵⁶ وقد حاول جبران في هذا الكتاب

¹⁵⁵ خليل حلوى : جبران ص 317

¹⁵⁶ جبران خليل جبران : ص 325-362

بحث موضوعات في المنطق والفلسفة والحضارة
اليونانية، فجاء بحثه سطحيا غير موفق.

13. آلهة الأرض

نشر هذا الكتاب في سنة 1931م. يتضمن
الأرض؛ حوار رمزيا بين ثلاثة آلهة، يهتمون جميعا بمصير
الوهمتهم، ومصير الإنسان، وليسوا في الحقيقة سوى
الإنسان الخارج عن نطاق نفسه إلى حالة من الألوهية،
بنزعات انسانية ثلاث. فالإله الأول متبرم بتكرار الحياة
الرتيب، فيرغب في الإنمحاق. ويستمتع الإله الثاني
بقدرته على الإنسان، واللعب بمصيره، لكنه قبل
الحوار، يتخلى عن القوة ليؤمن بالمحبة. وأما
الثالث، فيعتقد أن المحبة هي الحقيقة
الوحيدة في الحياة. وهكذا يدور الكتاب حول المحبة.
ولكن بأسلوب تسوده الكآبة والتفكير بالموت باعتباره
الحقيقة الوحيدة الخالدة.

14. التائه

التائه آخر كتاب لجبران، أتم كتابه قبيل موته، ونشر بعد موته سنة 1932. يتضمن هذا الكتاب خمسين وأسطورة، استوحاها من التراث الشرقي، وهي تشبه قصص المجنون من حيث السخرية من معتقدات الناس والتبرم بسخافات العالم.

15. حديقة النبي

وهذا الكتاب، أصدرته السيدة برباره يونغ، إحدى صديقات جبران، بعد موته بسنتين، وهو يتضمن فصولا كان جبران قد هيأها له، وأخرى لا علاقة لها بموضوع كتابه. كان جبران قد نشرها في العربية، ثم نقلها الإنكليزية¹⁵⁷. وثمة تشابه كبير بين 'النبي' النبي؛ البطل واحد، وهو جبران نفسه، والمواعظ تكاد تتشابه، والرموز هي التي كانت في 'النبي'. مع بعض الفروق، أهمها أن موضوع 'النبي' علاقة الإنسان الإنسان، أما موضوع حديقة النبي فعلاقته بالطبيعة.

¹⁵⁷ خليل حاوي : جبران ص 263-265

Mohammed Ali Askar, K. “A Comparative study of Gibran Kahlil Gibran with Michael Naimy”. Thesis, Department of Arabic, University of Calicut, 2008

الفصل الثالث

مikhail نعيمه

- الباب الأول : حياة Mikhail نعيمه
- الباب الثاني : الأدب عند نعيمه
- الباب الثالث : الأديب في رأي نعيمه
- الباب الرابع : النقد عند نعيمه
- الباب الخامس : الغربال
- الباب السادس : إيمانه بالله
- الباب السابع : أهم مؤلفات Mikhail نعيمه

الباب الأول

حياة ميخائيل نعيمة

ولد ميخائيل نعيمة في لبنان تحت سماءها الباسمة في قرية "بسكنتا" في 17 أكتوبر 1889م. وكان ميخائيل نعيمة الابن الثالث لأبويه. وكان والداه أميين وقد درس ثقافات متعددة مبتدئاً بدراسة الروسية المدرسة الابتدائية في "بسكنتا". ولبسكنتا أثر كبير في حياة نعيمة قضى طفولته في العزلة محباً لجمال قريته. وهو يقول في "السبعون": "تكون السفوح الشمالية في تلك الفوهة من صخور رملية تغطيها غابات شاسعة من الصنوبر ومن تحت تلك الغابات تنتشر بيوت متقاربة هنا، متباعدة هناك، بحيث أن الرقعة تشغلها، لو هي استثمرت كلها للبناء على نمط الحديثة، لاتسعت المدينة، سكانها ثلاث مائة ألف نسمة ويزيد. أما ارتفاع البلدة عن سطح البحر فيراوح

1200 و 1500 متر. إذ أن الانحدار من أعلى بيت إلى أسفل بيت فيها يبلغ لا أقل من ثلاث مائة متراً¹⁵⁸.

وكان أبوه يوسف مشغولاً في الزراعة. لكن حاول يوسف في تربية أبناءه فوق طاقتهم. وكان نعيمه يحب جده "بويوسف" حباً جماً. وقد ذكر هذا في السبعون:

"مات جدي بويوسف وأنا دون السابعة. ولكن رسوماً عدة له بقيت في ذاكرتي، وكلها عزيز رسماً سيأتي ذكره. من تلك الرسوم واحد جالساً على سطحنا وقد تجمع حواليه عدد من الرجال النعيميين يوماً من الحداد على أحد الأقرباء. فتأمل طول لحاهم. وكان في العائلة رجل واحد يملك موسى شبلي" العائلة كلها وابتدأ الدور بجدي وكان حليق الرأس. كذلك فأخذ شبلي يسنه موسى مرة على وأخرى على حذائه ثم أقبل على رأس جدي يبلى منه بالماء"¹⁵⁹.

¹⁵⁸ سبعون : حكاية عمر : ميخائيل نعيمة، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، 1959 ص 44

¹⁵⁹ سبعون : حكاية عمر : ميخائيل نعيمة ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، 1959 ص 44

وفي السنة 1902 انتقل إلى معهد المدرسين الروسي في مدينة الناصرة بفلسطين لإكمال دراسته. ثم اختير في بعثة دراسية إلى روسية على نفقة الجمعية الأمراطورية الروسية الفلسطينية. فطالع الروسي في كلية السمينار اللاهوتي في بولتواوا لخمس سنوات وهو يكتب عن هذه الكلية وبرنامجها عمره " السبعون".

" السمينار الروحي" مدرسة ثانوية، وهي فوق الثانوية بقليل يمتد برنامجها ليست الأولى منها مكرسة للدروس العلمانية وبعض الدينية، والإثنان الأخيرتان للطقوس والعقائد الكتيبة، وهذا النوع من المدارس في روسيا كانت تنفق وتستقل بإدارته الكنيسة الممثلة في " السودوس" أو المجمع المقدس". وكان لكل أبرشية في كل سمينار، يتشرف فيه أبناء رجال الدين في الدرجة الأولى¹⁶⁰.

¹⁶⁰ سبعون : حكاية عمر : ميخائيل نعيمة ، دار صادر و دار بيروت للطباعة والنشر، 1959 ص 173

فتأثر من بولتاولا بالأدب الروسي. وفي هذه المدة كان ينظم بعض الأشعار ثم عاد إلى لبنان. وبعد أن سكن في مسقط رأسه بسكنتا هاجر إلى جامعة واشنطن الولايات المتحدة الأمريكية مع أخيه " ديب" وفيها في دراسة اللغة الإنجليزية والحقوق حيث حصل منها عام 1916 م على شهادتين شهادة كلية الآداب وشهادة كلية الحقوق. ولكنه لم يمارس مهنة المحامي وقدم في الجيش الأمريكي حيث عمل في صفوف القتال فرنسا. ولكن الحرب لم يكن مناسباً لطبيعته، الحرب وندم بها طول حياته. ثم ترك الجندية عام 1914م وسافر إلى نيويورك بدعوة من نسيب عريضة. صاحب المجلة " الفنون". وكان نعيمه ينشر في "الفنون" مقالات نقدية وقصصية.

مرة ظهرت في صفحة " الفنون" مقالته النقدية عن كتاب " الأجنحة المتكسرة" لجبران خليل جبران " فجر الأمل بعد ليل اليأس". وفي هذه المقالة نعيمه الأدباء المتقلدين. وظهرت شجاعته في قوله الأجنحة المتكسرة، كانت رواية جديدة في

والأسلوب والمعاني. لأنه لم يسمع مسامع العرب هذا التمرد في الفلسفة والأسلوب. وقربت هذه المقالة قلبي جبران خليل جبران ونعميه وأصبحا صديقين ومحبين حتى أن مات جبران خليل جبران في 1931م.

ومن نيويورك ساعد نعيمه جبران خليل جبران تأسيس " الرابطة القلمية" مع ثمانين آخرين من سورية.

وفي السنوات التالية كتب نعيمه عدة مقالات في " الفنون" كلها نقدية. واستطاع أن يظهر قوته في النقد، ويكتسب إعجاب قراءه. ومن يونيو عام 1918م يونيو 1919م خدم ميخائيل نعيمه في سلاح الطيران في فرنسا. ثم أخذ وظيفة في متجر براتب متواضع.

وبعد وفاة جبران أصبحت " الرابطة القلمية" أيضا مئة وعاد نعيمه إلى لبنان عام 1933 والأربعين من عمره. وكان يسكن فيها مع أبيها وأشقائه نجيب ولبيب وزوجاتهم وأولادهم. كان والده

يقضى أوقاته في الحقول والبيادر. واشتغل نعيمة
يحرث الأرض مع أسرته ثم اتخذ غارا يسمى " الفلق".
في احدى جبال " بسكنتا" وقضى في العزلة والتفكير.
ونشر من " بسكنتا" جمهور كتبه في الفلسفة والمقالات
التفكيرية مثل كتاب "مرداد" في الانجليزية " وهمس
الجفون" وقصة عمره التي تشتمل مذكراته عن حياته
في عنوان " سبعون" ونشرها في السنة 1959
1960م. وتوفي سنة 1988م بعد أن عاش طويلا.

الباب الثاني

الأدب عند نعيمه

وقد اعتقد ميخائيل نعيمه أن الأدب وسيلة
 عما تثيره في نفس الإنسان وهو يقول
 الذي وضعه دستوراً للرابطة القلمية.

" ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدباء ولا كل
 من حرر مقالا أو نظم قصيدة موزونة بالأدب. فالأدب
 الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها
 والأديب الذي نكرمه هو الأديب الذي خص
 ودقة الفكر وبعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها،
 وبمقدرة البيان عما نحدثه الحياة في نفسه من التأثير...

" أن هذه الروح الجديدة التي ترمي إلى الخروج
 بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور
 جميل الأساليب والمعاني لحرية في نظرنا بكل تنشيط
 وموازنة، فهي أمل اليوم وركن الغد. كما أن الروح التي
 تحاول بكل قواها حصر الآداب واللغة العربية ضمن دائرة
 تقليد القدماء في المعنى والمبنى"¹⁶¹.

¹⁶¹ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمه ، ص 187-188

قد اعتقد أن اللغة أداة خلقها الإنسان للتعبير عما
تثيره في نفسه متطلبات حياته اليومية. ورأى أن
لا يعيش دون الحياة فالحياة والأدب توأمان لا ينفصلان.
وأن الأدب يتوكل على الحياة والحياة على الأدب،
واسع كالحياة، عميق كأسرارها....¹⁶²"

ويشبهه ميخائيل نعيمة الأوزان والقوافي بالمعابد
والطقوس، فلا يراها ضرورية للشعر¹⁶³. ويسمى
الاتساع في الأدب كذلك بالخميرة، " التي تجعل من
الكلمة الفطير خبزاً صالحاً للفكر والقلب والخيال
فيدخل بذلك المعابر الإنسانية التي ينبعث منها
شعراً ونثراً. وقد نقد الشعر السطحي، أو الحياة
السطحية التي لا تحمل فكراً أو رسالة أو فضيلة أو تأملاً.
وهو يقول: " كنت أميل إلى الشعر الذي يدفعني
على التأمل في مشكلات الحياة والموت أكثر مني
الشعر الذي يدغدغ عاطفتي.¹⁶⁵ "

¹⁶² الغريال : ميخائيل نعيمة

¹⁶³ المرجع السابق : ص 117

¹⁶⁴ سبعون : ميخائيل نعيمة : ص 151

¹⁶⁵ المرجع السابق : ص 144

وإن لم يبعث الشعر في نفسه الدهشة الروحية والجمالية، فلن يثير إعجابه، ولو توافر فيه متانة وبراعة الصناعة¹⁶⁶ فالأدب عند نعيمه رسالة الحياة ورسولها في آن واحد. وفي رأي ميخائيل مهمة الأدب " هي التعبير عن الإنسان وحالاته تعبيرا جميلا، صادقا من شأنه أن يساعد الإنسان على تفهم نفسه وتفهم الغاية من وجوده، وأن الطريق إلى غايته. واذن فللأدب رسالة سامية"¹⁶⁷. وفي مكان آخر يشير إلى التعبير نفسه، مكررا بأنه " الحاجة الأهم والأنبلى، والأقدس على الإطلاق لو لا شعورنا لما شعرنا بوجودنا!" " وأن مهمة الأدب كذلك تحدثنا عن النفس الإنسانية ومعارفها، دينا كانت أم فلسفة أم علما!"¹⁶⁸.

ومن مهمة الادب تكشيف إنسانية الإنسان، وتحريك الفضائل في قلبه، وأثارة فكره. فإن لم يخدم الإنسان، ويحرك النفوس المتمزقة، ويجيء الضمائر الميتة، ويحيطها برعاية ومحبة، فلا يدعى أدبا. فالأدب لصيق

¹⁶⁶ المرجع السابق: ص 152

¹⁶⁷ دروب : ميخائيل نعيمه : دار العلم الملايين ، بيروت 1954 ص 48-49

¹⁶⁸ المرجع السابق : 48- 49

**الحياة، وهو تعبير شريف عن الحياة الإنسانية في جميع
ظواهرها وضمائرها.**

الباب الثالث

الأديب في رأي نعيمه

وبعد أن اهتم نعيمه بتعريف الأدب وتحديد مقاييسه ومهمته، تناول الأديب، متحدثاً عن صفاته كمن يتحدث عن خالق أو نبي أو فيلسوف، فإذا كان الأدب رسالة فكر وقلب وخيال وفضائل، فللأديب وهو خالق الرسالة والمسؤول عنها صفات مثل صفات والفيلسوف، فهو النبي والفيلسوف والمصور والموسيقي والكاهن.¹⁶⁹ وللأديب شخصية رائعة هي قدسه الأقدس¹⁷⁰.

وهو يقول: " والأديب ... هو الأديب الذي خص برقة الحس، ودقة الفكر، وبعد النظر، في تموجات وتقلباتها، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير..."¹⁷¹ " والصفة الثانية التي يجب أن تتوافر في الأديب فهي الفكر، يجب أن يكون عنده جانب قلبه وشعوره، لأن الأديب " قلب يخبر،

¹⁶⁹ الغربال : ميخائيل نعيمه ص 86

¹⁷⁰ المرجع السابق : 15

¹⁷¹ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمه ص 187

يفكر، وقلم يسطر، فحيث لا شعور فلا فكر، وحيث لا
فكر فلا بيان ، وحيث لا بيان فلا أدب.¹⁷² ومتى توافرت
للإنسان هذه الصفات : الميل والمعرفة
ممزوجة بالقلب والعقل والبيان دعى عن حق أديبا،
الشعور والفكر والبيان ثلاثة لا يكون رجل كاتباً
توافرت له أكثر من توافرها لسواد
البشرية".¹⁷³

والصفة الثالثة فهي الصدق. ومن استطاع أن
عن قلبه، وعقله بيان مشرق لا يكون إلا صادقا،
والصدق في عنق الأديب أمانة مقدسة، يقول نعيمه: "
فليس أدعى للأسف من أن يمتهن فنان فنه للاستدراج
العطف، والفلس من ذوي السلطان والمال... والشاعر
الذي لا يجد لقريحته لقاحا غير استجداء العطف أو المال
أو التصفيق لشاعر يجنى على نفسه وعلى شعوره وكان
من الخير لو عقم قريحته".¹⁷⁴

¹⁷² الغربال : ميخائيل نعيمه ص 242

¹⁷³ الغربال : ميخائيل نعيمه: 243

¹⁷⁴ السبعون : ميخائيل نعيمه 154-155

ورسالة الأديب فهي أن يجتد قلبه وفكره وإرادته
لكي يفتح طرائق غامضة، ويسير بالإنسان إلى
مثالي أفضل. وهذه المقاييس التي ذكرها نعيمه
أدبه، هي المقاييس نفسها التي فرضها على نفسه،
فكان إنساناً، متأملاً، حكماً، معلماً مثالياً وأديباً، ورفيقاً
للإنسانية.

الباب الرابع

النقد عند نعيمه

وقد قدم ميخائيل نعيمه منهاجا جيدا لنقد العربي. وكان النقاد العرب القدامى يهتمون اللفظ والمعنى، واعتبروا شرف المعنى وبلاغة اللفظ، الجاحظ¹⁷⁵ والعسكري¹⁷⁶ وعبد القاهر الجرجاني وقد أشار الأخير إلى حسن التأليف بين اللفظ والمعنى، وحسن النظم والملائمة بينهما¹⁷⁷. أما قدامة بن جعفر فلم يأبه لشرف المعنى إنما أشار إلى أن الأديب يجب أن يقصد الإجادة في اللفظ سواء كانت المعاني حميدة ذميمة.

وبالرغم من الاضطراب في تأليف النقاد العرب القدامى، نستطيع أن نقول أن معظمهم أشاروا الناحية الروحية في الكلام، ورموا ما لا فائدة على ذلك الذوق الفطري الذي اعتبر حكما أصيلا

¹⁷⁵ الجاحظ ، البيان والتبيين : مطبعة الإستقامة 1956 ، ص 106

¹⁷⁶ أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين ، مطبعة محمد على صبيح مصر ، ص 59

¹⁷⁷ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الأعجاز في علم المعاني : دار المنار القاهرة ص 13

الأدب. ونبغ بعد هؤلاء الأقطاب في النقد جماعة أخرى، لم يرتفعوا عن دائرة اللفظ والمعنى والنظم بينهما، وراحوا يدورون حولها، وظل النقد جزء من الأدب، لا كلاً، كما ظل بعيداً عن أحوال النفس الداخلية. ولم يتخذ صفة جديدة إلا بعد الإختلاط بالفكر الغربي ومناهجه في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وقد نشط نشاطاً كبيراً بعد النصف الأول من القرن العشرين التقريب.

أما ميخائيل نعيمة فقد سبق هذا النشاط لإحساسه بأن الأدب هو جزء لا يتجزأ من الحياة، بل هو توأمان. وقد أطلق رسالته هذه بعد مدة من والتفكير والمطالعات والاحتكاك المباشر بالآداب العالمية، وبعد اقتناع أنه مدعو إلى انقاذ الأدب العربي المعاصر من الأوهام والترهات، لا سيما وقد تبدل الإنسان وقيمه في العالم بأسره. وبدأ ميخائيل نعيمة أن يهاجم الأدب العربي المعاصر واتجاه النقد مضيئاً إلى النقد باباً جيداً لم يشه قبله. كتب متحدثاً عن آراءه في مجلة " الفنون ":

النيويوركية. وبعد حين جمع المقالات وأضاف عليها
مقالات أخرى، وجعلها في كتاب دعاه " الغربال " ¹⁷⁸.

¹⁷⁸ طبع لأول مرة عام 1923م . نشره محيي الدين رضا في القاهرة

الباب الخامس

الغربال

الغربال كتاب نادر في الأدب العربي الحديث، خاصة في نقد الأدب العربي. يشتمل هذا الكتاب على مقالات نشرت في المجلات والجرائد في أوقات مختلفة بين سنة 1913م وسنة 1922 مثل 'الغربة' و 'الأدب' و 'الرواية التمثيلية العربية' و'الحباحب' و'المقائس الأدبية' و 'الشعر والشاعر' و'الزحافات والعلل' و 'الأرواح الحائرة' و 'الدرة الشوقية' و'القرويات' و 'الريحاني في عالم الشعر' و 'السابق' و'ابتسامات ودموع' و 'غاية الحياة وأغاني الصبا' و'شكسبير' و 'خليل مطران' و 'الديوان' و'العواصف' و'الفصول'.

عرض ميخائيل نعيمة في هذه المقالات الصريحة الواضحة عن أمين الريحاني وجبران جبران ونسيب عريضة وخليل مطران وحركة الديوان التي أسسها عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني. وهذا الكتاب يقدم للنقد العربي منهاجا جديدا.

وينقسم الكتاب إلى قسمين متساويين. القسم الأول يتعلق بالنقد العملي والتطبيقي. ويقول المؤلف في هذا الصدد: " تلك الرسالة كانت الدافع المباشر على نشر 'الغريال' فقد رحت أجمع المقالات النقدية صدرت لي في 'الغنون' و'السائح' منذ سنة وحتى ذلك التاريخ. وعندما فرغت من جمعها وترتيبها كان هم الأكبر أن أجد لها اسماً مناسباً. فكان 'الغريال' أول ما خطر لي في بالي." ¹⁷⁹

والغريال الثاني كتاب في النقد يهدف استخدام أساليب جديدة في الأدب الحديث وقد الكتاب في نفس العام الذي بدأ فيه عبد الشكري والعقاد والمازني تأسيس جيل جديد في قد طبع الغريال في مصر بعد عامين من صدور الديوان عام 1923م. وكلتا الحركتين في الأدب العربي مدرسة الديوان في مصر ومدرسة المهاجرين متشابهتين في النظريات والآراء. ومع هذا كتب العقاد مقدمة " للغريال" ويقول فيها: "وأكد أقول انه لو

¹⁷⁹ السبعون، حكاية عمر، ميخائيل نعيمة - دار صادر وباربيروت للطباعة والنشر، 1959، ص 188

يكتب قلم نعيمه هذه الآراء التي تتمثل في هذه الصفحات لوجب أن أكتبها أنا. فأما وقد كتبها عبثا وحب على الأقل أن أكتب مقدماتها"¹⁸⁰.

ويقول نعيمه في هذا الكتاب عن وظيفة الناقد، ويقرر أنه يجب على الناقد أن ينقد الأفكار والمشاعر التي تظهر في الكتابة. وليس الكاتب نفسه. ويقول في هذا الصدد: " فمهمة الناقد إذن هي غربلة الآثار الأدبية لا غربلة أصحابها. وإذا كان من الكتاب والشعراء يفضل بين آثاره الأدبية التي يجعلها تراثا للجميع، وبين فرديته التي تتعداه دائرة محصورة من أقربائه وأصحابه. فذلك الكتاب أو ذاك الشاعر لم ينضج بعد. الناقد يميز بين شخصية المنقود وبين آثاره الكتابية ليس أهلا لأن يكون من حاملي الغربال والدائنين بدينه.

وينقد نعيمه القواعد القديمة ويطلب يهجر هذه الوسائل المملة بالتكرار. هو يقول: " وعلى الكاتب أن يترك القواعد القديمة ويأخذ الحديثة. إذ لو كانت لنا قواعد ثابتة لتمييز الجميل

¹⁸⁰ الغربال : ميخائيل نعيمه ، المطبعة المصرية: القاهرة. ص 8

الشيخ، والصحيح من الفاسد لما كان من حاجة بنا إلي
النقد والناقدين بل كان في حاجة إلى الناقد لأنه
السواد الأعظم منا مشوهة بخرافات رضعناها من
أمناء وترهات اقتبلناها من كف يومنا. فالناقد الذي يقدر
أن ينتشلنا من خرافات أمناء وترهات يومنا والذي يضع لنا
اليوم محجة لنذكرها في الغد هو الرائد الذي سنتبعه"¹⁸¹.

ويرى نعيمه أن الأدب التقليدي ليس له
هذا العصر، إذ ليس له صلة بالحياة وقد بدأ مقالته
البحابح بعبارة يخاطب الكتاب القادم قائلا:

"إنكم لم، ولن تخلقوا شكسبير وفولتير،
تمسكتم بالأساليب القديمة"¹⁸².

ويرى ميخائيل نعيمه
المقاييس الأدبية، أن لكل شيء قيمته روحية ومادية،
ويؤكد أن العواطف والأفكار
مضامير النفس . فالشعر هو إذن لغة النفس والشاعر هو
ترجمان النفس.

¹⁸¹ المصدر السابق ص 14
¹⁸² الغربال : ميخائيل نعيمه : ص 58

وكتب نعيمه في الجزء الثاني للنقد العملي عن الكتاب المعاصرين من مصر وسوريا ولبنان. وتناول شعر جبران خليل جبران فيقول : " إن جبران خليل جبران محب الإنسانية وأن أسلوبه وجيز جميل". وكذلك أظهر آراءه عن 'السابق' لجبران و ' ابتسامات ودموع' للأنسة مي زياده (1895م -1941م) التي عربت 'الحب الألماني' لميكس مولر (1823-1955) ويقول ميخائيل نعيمه عن هذا الكتاب :

" ولذلك أسائل ذاتي أنت ناقله ميكس مولر العربية أم هو ناقلك إلى الألمانية"¹⁸⁴.

انتشرت شهرة ميخائيل نعيمه في العالم العربي كناقذ بكتابه " الغربال" الذي يعد أروع الكتب في الأدبي العربي، بما ثار فيه على التقليد والمحافظة على الأدب القديم.

¹⁸³ المرجع السابق : ص184

¹⁸⁴ المرجع السابق: ص151

الباب السادس

إيمانه بالله

وحيث ينتهي الإنسان

والفكرية والخيالية، يبدأ البحث عن الله. فالإيمان واجب لكل إنسان، فالله هو قدرة عظيمة، عادلة وقد أصبح الله في حياة نعيمه شغله الشاغل، وهمه المتواصل، حتى بات يعمر كل كيانه بعد أن مر عليه يعتبره خالقا وهو المخلوق، ومعبودا وهو العابد. وهذا الشعور على حد تعبيره غمره بفيض من الطمأنينة. فقد تبعه هذا الشعور أينما ذهب، فكان يبدو تارة خفية ' وأخرى ' يدا مباركة؛ أو ' قدرا' أو ' قضاء؛ سرا"؛ أو ' معرفة كبرى؛ أو ' فهما مقدسا، وهو هذا قد طهر قلبه للوصول إلى قلب الجمال والحرية، إلى قلب المحبة والحق، إلى قلب الله".¹⁸⁶

ولم يعتقد ميخائيل نعيمه في الله ويميت ويعاقب ويشيب كما تعلم الأديان العالم. بل كان

¹⁸⁵ سبعون : ميخائيل نعيمه ، ص 21

¹⁸⁶ زاد المعاد : ميخائيل نعيمه ، مطبعة المقطف والمقطم، مصر ص 16

الله له " فوق الحياة والموت وأرفع من العقاب
والثواب"¹⁸⁷. وقد رأى أن القدرة التي ندعوها الله
الكل في الكل- لا حالات فيها ولا صفات لها، ولا حقيقة
إلا هي- ولا وجود لشيء إلا فيها"¹⁸⁸

حيث ينتظم كل شيء فيه ، فتذوب الثنائيات
رحابه- فالله هو "الجوهر الواحد الذي تتعدد مظاهره
المحسوسة وتتبدل، أما هو فلا يتعدد ولا يتبدل أبدا"¹⁸⁹ .

ويقول أن نور الله يشع في جميع
ويذوب العالم فيه، فيصبح الكل ذوبا من الجمال ويفني
الزمان ولا يفنى"¹⁹⁰ ولقد أحب نعيمه الطبيعة
الله فيها، وقد أحس الطبيعة فيضا من الله- وأحب الله
لأنه رأى نفسه في الله وأصبحت الطبيعة عنده
المعلم الذي لا نفاذ لصبره، ورويته، ومحبته، وأساليبه
في شرح ما احتواه كتابها، وفي إثارة (اهتمامه) بما

¹⁸⁷ زاد المعاد : ميخائيل نعيمة، مطبعة المقطف والمقطم، مصر، ص 18

¹⁸⁸ المرجع السابق

¹⁸⁹ سبعون : ميخائيل نعيمة، ص 324

¹⁹⁰ المرجع السابق 83

انطوى في متونه وهوامشه من بديع الصور وجليل
المباني والمعاني"¹⁹¹.

وأصبح نعيمه خيرا بالكائنات الطبيعة
ملازمة الروح للجسد، يرى فيها قبسا من الله الخالق
العظيم، يخاف عليها من كل أذى.

يخاف على الطير من يد الصياد، ويخاف
السماك من صيد الصياد، ويخاف على النحل
والدود من اليد الظالمة. وهو ينشد:

" أشجار الغاب تحينا

وطيور الغاب تناجينا

وزهور الغاب تصافحنا

ونصافحها وتهنئنا

دن دن دن دن !

" وأغصان الغاب تلاعبنا

وهوام الغاب يداعبنا

وصخور الوادي تدعونا

صدي الأحراس يعاتبنا

¹⁹¹ المرجع السابق 135

دن دن دن دن دن"

"الزهر يعطر أنفاس
والنهر يولد في راس
أشباحا راقصة الخريف
الماء وصوت الأجراس

دن دن دن دن دن" ¹⁹²

وفي هذا الفيض الإلهي الذي يحس نعيمه في قلبه،
يصبح صديقا حميما لجميع الكائنات فينطلق لمخاطبتها
واحدة واحدة، ولمحادثتها كمن فيه روح
ينشد أيضا: =

" تناثرى تناثرى

يا بهجة النظر

يا مرقص الشمس ويا

أرجوحة القمر...،

يا أرغن الليل ويا

قيثارة السحر"

"سيري بقلب خافق

¹⁹² همس الجفون : ميخائيل نعيمة : 42،43، 44

في موكب القضا:

"سيري ولا تعاتبني

فلا تخافي ما جرى

ولا تلومي القدرا

من قد أضاع جوهرها

يلقاه في اللّحود

عودي إلى حضن الثرى!"¹⁹³

ويرى ميخائيل نعيمة الله فيضا في جميع الكائنات

وهو ينشد:

" في جميع الخلق : في دود القبور

في نسور الجوى، في موج البحار

في صهاريج البراري، في الزهور"¹⁹⁴.

وهو يحس بأن تعلّقه الشديد بالطبيعة، وذوبانه

كائناتها، وقيام مؤدّة بينه وبينها يعود إلى ما قبل ولادته،

فلا يستطيع أن يحددها بزمان أو مكان، وقد عبر

مودته للصخور بقوله: -

¹⁹³ المرجع السابق: 47,48, 49

¹⁹⁴ المرجع السابق ص 35

" أحسها عميقة ، وثيقة، بعيدة الغور والقرار، لعلها
تعود إلى يوم كنت طينة في يد الله. وكأن النسيمة
جعلت من الطينة، إنسانا، ما كانت لتزيد تلك المودة
تأمل وجمال ونقاوة، حتى إنها تبلغ
الأحايين درجة الهيام"¹⁹⁵.

وأحسن العلاقة بينه وبين الكائنات فيذوب روحا
الطبيعة ويسيل فيضا من نور، بعد أن تحل فيها روح الله
وقد أصبح خالقا ، يقف متأملا في خلقه وعلى
مرداد" يقول: " فشعرت كأنني أذوب ثم أسيل ثم أتبخر
ثم أنزل قطيرات لا تبصر فوق كل شيء، وأتغلغل
كل شيء في البحر .. وفي الأكام.. وفي
والقرى المنثورة على التلال.. وفي المروج..
الأدوية والأخاديد.."¹⁹⁶

ولا أريد أن أطول هذا البحث - البحث عن
نعيمه بالله= ولكن أريد أن آخذ العبارة التالية التي
فيها خلاصة إيمانه بالله وكيف يربط الإنسان بالله:

¹⁹⁵ البيادر : ميخائيل نعيمة : دار المعارف : مصر 1945م ، 174

¹⁹⁶ كتاب المراداد : مجموعة الكاملة لميخائيل نعيمة: ص 580

**" والأن، من هو الإنسان إن لم يكن نسلا من الله؟
لعل في إمكانه أن يختلف عن الله؟ أليست
كلها مقمطة في البلوطة التي هي ثمرتها؟
ملتغا في الإنسان؟**

إذن فالإنسان كالله، فالإنسان خالق كإلهه..."¹⁹⁷

الباب السابع أهم مؤلفات ميخائيل نعيمة

همس الجفون

هذا الكتاب ديوان شعر ميخائيل نعيمة. مارس النظم باللغة العربية طيلة عشر سنوات من 1917 إلى 1926م و بالإنكليزية مدة خمس سنوات من 1925 إلى 1930. ثم طلق الشعر عندما اتسعت آفاق مداركه إلى حدود وأن طاقته الشعرية لا تستوعبها كاملة. لقد كبرت معانيه على الألفاظ وهو صاحب رسالة في الأدب يأبى أن تبقى معان منها حبيسة في صدره فلم يكتب إلا نثرا عندما غادر المهجر.

وفي قصيدته الفكرية " أخي " أبدع في مخاطبة الإنسانية جمعاء جاعلا كل فرد فيها أخا له، متألما من المجاعة التي حلت في بلاده مكررا عبارة الأخ، لعله بذلك يوقظ الحنين الكامن في قلب الإنسان أينما كان، حنين الأخ إلى أخيه. يقول وهو واقف أمام الله ناشدا المعرفة:

كحل الله عيني بشعاع من ضياك كي تراك.

في جميع الخلق : في دود القبور

في نسور الجو، في موج البحار

في صهاريج البراري، في الزهور

في الكلا، في التبر، في رمل القفار"¹⁹⁸.

ويزداد في قلبه التعطش إلى المعرفة التي لم تنجل له

بعد، فيخاطب الله متسائلا :

رباه هل بلية ذي النار أم عطية

رباه هل يلام من ربه أوام؟¹⁹⁹

ثم يستسلم للقضاء والقدر، متحالفا معه، فيخفف

عذابه ويتلاشى خوفه:

" لست أخشى العذاب،

لست أخشى الضرر

وحليفي القضاء

ورفيقي القدر"²⁰⁰

¹⁹⁸ همس الجفون : ميخائيل نعيمة، المجموعة الكاملة، ص 53

¹⁹⁹ المرجع السابق ، ص 53

²⁰⁰ المرجع السابق ، ص 74

وفي ساعات أخرى، يعبر نعيمه عن إعجابه بالخلقة
 فيشعر بالجلال يسعى إليها من كل صوب ويحس بالخلاف
 المبدع يتغلغل في أحشائها،

" فرأينا الخلاق لما رأينا

كل شيء مما يراه جليلا"²⁰¹

لقاء

صدرت الطبعة الأولى من قصة ' لقاء ' عام 1946م
 وهي أول قصة طويلة كاملة له. وهي تدور حول عقيدة
 تناسخ الأرواح. فنان ساحر في فنه اسمه ' ليناردو' جاء
 ليعرف في حفلة افتتاح فندق. فسحرت ابنة صاحب الفندق
 الوحيدة بعزفه وسحر هو بجمالها. ولكنهما لم يتصارحا بشيء
 من حبهما. وإن كان كل منهما يشعر بأنه ناقص لا يتممه إلا
 الآخر.

ويحلل الكاتب القصة ويقول أن هذه الحياة لم تكن
 ولادتهما الأولى على الأرض بل سبقتهما ولادة أخرى قبل
 ألاف من السنين وكانت ابنة صاحب الفندق هذه أميرة
 حينذاك وكان الفنان ليناردو راعيا. وقد تحابا منذ ذلك العهد

²⁰¹ المرجع السابق، ص 76

ولكنهما ماتا قبل أن يحققا حبهما الشديد. فعادا في هذه المرة أيضا ليحققاه.

يقول الكاتب:

وإذا صح ذلك فما أجهل الناس يقيسون العمر بفترة قصيرة من الزمان تنطوي ما بين المهد واللحد وأعمارهم تمتد ما امتد الزمان.

إلا أن العقل يأبى التسليم بشيء من ذلك. فالولادة في شرعه هي البداية، والموت هو النهاية. وكل علاقة بين إنسان وإنسان لا يمكن أن تسبق البداية ولا أن تتجاوز النهاية. إما أن تكون قبل البداية بدايات، وبعد النهاية نهايات، وأما أن يكون الزمان اتصالا لا انقطاع فيه ولا انفصال، وأن تكون الحياة كالزمان...²⁰².

جبران خليل جبران

نشر ميخائيل نعيمة كتابه ' جبران خليل جبران ' في سنة 1934م. وقد صور فيه حياة جبران في أسلوب جذاب. وحلل اتجاهات جبران أدبيا وفنيا وفلسفيا أدق تحليل.

²⁰² لقاء : ميخائيل نعيمة, مجموعة الكاملة ص 389

وقد اختلط في هذا الكتاب الواقعية بالخيال ويعطى لهذا الكتاب أجمل قالب هو قالب الرواية الحديثة.

يقول في مقدمة هذا الكتاب:

" ثم أن في حياة كل إنسان ' أسرار ' يكتمها عن الناس. وأنا قد وقفت على البعض من أسرار جبران وفاتنى منها الكثير. فهل يليق بي أن أبوح ولو ببعض البعض الذي أعرفه؟. وإن أنا كتمته فما معنى الذي أكتبه؟. أخون نفسي والقارئ وجبران بكتمان ما ليس مكتوما في سجل الحياة الكبرى، وأن يكن مستورا عن أعين الناس. فأصور صورة لا وزن بين ظلالها وأنوارها، لارضى بعض من لا ذوق لهم في الفن ولا رأي لهم في الحياة، وأجور على ذوقي وأدفن رأبي في التراب؟ وإن أنا لم أكتمه فكيف لي أن أبوح به من غير أن أظهر في عين القارئ كما لو كنت أدبني أخي بهفوات قد لا أكون بريئا منها؟.

وبعد ذلك فكيف لي أن أكتب عن جبران خليل جبران من غير أن أذكر نفسي، وقد كان بيننا من القرابة ما كان؟ وإن أنا لم أجد بدا من ذكر نفسي فهل يفهم القارئ أنني ما فعلت

ذلك إلا مضطرا وأني أكره التحدث عن نفس لا سيما في كتاب أحدث فيه عن سواي؟²⁰³

وقد حاول نعيمة في هذا الكتاب أن يصور أحلام جبران وآلامه، وقوته وضعفه، وجهاده العنيف مع نفسه والعالم، وأشواقه وأفكاره وغير ذلك مما شاهد وراقب وشارك من حياة جبران .

ويبدأ قصة جبران من الاحتضار. ثم يذكر ويخيل قصة حياة جبران قليلا قليلا. يقول أولا عن حياة جبران في مسقط رأسه 'بشرى'. ثم يقول عن خيالات بوسطن وهدية الموت، فيه يقول عن موت أخت جبران خليل جبران وأمه وأخ الكبير بطرس. ثم يقول عن حياته في باريس. ويشير في بعض الأحيان عن فيلسوف الألماني نيتشه وعن شاعر الإنجليزي وليام بلايك وعن فنان الأفرنج أغسط رودن.

وقد فسر ميخائيل نعيمة عن علاقات جبران خليل جبران بالنساء مثل ماري هاسكل وميشلن وغيرهما. وفي بعض الأحيان ينتقد ميخائيل نعيمة حياة جبران وآثاره الأدبية والفنية نقدا صادقا. نرى الصدق واضحا في أقواله. وقد أظهر إيمان جبران خليل جبران في عقيد تناسخ الأرواح،

²⁰³ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة، ص 7 و 8

وعن إيمانه بالله وبالناس وبالطبيعة وغير ذلك. وقد حاول أن يفسر حياة جبران خليل جبران ونفسه تفسيراً واضحاً وأفصح في محاولته إلى حد ما.

المراحل

يشتمل هذا الكتاب على مقالات ميخائيل نعيمة التي عالج فيها شؤون المجتمع الإنساني على طريقته. ويظهر فيها آرائه عن المجتمع والقوم. وفي بعض مقالاته قد حاول أن ينقد عيوب المجتمع يقول في إحدى مقالاته 'المزابل':

يمر الناس بقصر من القصور فيهتفون ما أجمل وما أبهى يحيطون صاحب القصر بالإجلال فيطاطئون أمامه الرؤوس، ويعفرون الوجوه ويحنون الركب، أما الأيدي التي اقتلعت الصخر من صدر الأرض ونحتته حجارة... الأرض التي تبنى فيسكن غيرها ما تبينه وتنسج فيلبس غيرها ما تنسجه وتزرع وتحصد فيأكل غيرها ما تحصده... تلك الأيدي وما أكثرها مزابل بشرية يشمخ عليها الذين يحيون بكدها وجناها ويكفون عنها الأبصار وهم أحوج إليها من سمكة إلى الماء فيا للغرور وبا للعمى. أما أكثر المزابل البشرية وما أحقرها في

نظر البشرية وما أقدمها وأجلها في عين الحياة، الناس يهربون من مزابلهم..."

زاد المعاد

وفي هذا الكتاب يقول ميخائيل نعيمة عن أسرار الحياة والممات، وقد لخص فيه فلسفته وآراءه عن الحياة والموت، يقول الكاتب:

" ليس هناك حياة أو موت فالحياة هي بنت الموت والموت هو أبو الحياة وكلهما حياة لا فناء لها ولا بد من فناء التراب فينا لولادة حياة متعددة فالذي ندعوه بالموت هو في الواقع امتداد للحياة وانفساح في أطرافها، إذ منه تتولد الحيوانات الكثيرة... كالبررة تبقى بزره فقط وهي وحدها في الحياة فإذا ماتت في الأرض ولدت الحياة فروعاً وأوراقاً وزهوراً وأثماراً.

ويقول أيضاً:

**" أو ليس الله حيا من الأزل وإلى الأبد؟ أن كل ما ينبثق
منه يحيا بحياته مهما تبدلت أحوله وكيفما تغيرت أشكاله
والذي يقول أن الأموات قد بادوا واندثروا إنما يقول أن الله
الذي كان وما يزال حيا فيهم فقد باد واندثر والذي يبصر في
الموت نهاية الحياة إنما هو ضير لا يبصر ولا الموت".**

في مهب الريح

وفي هذا الكتاب نرى قصص ومقالات مثل 'في مهب الريح' و'السيف القصبة' و'الخرافة الكبرى' و'رحابة الصدر' و'سحر الطفولة' و'الدين والمدرسة' و'الشباب الحائر' و'ستستريحون يوم أستريح' و'هجم الربيع' و'الأدب والذلة' و'أم الحياة' و'غاندي' و'ضمير الشرق المستيقظ' و'أوزار الماضي' و'أوزار اللغة' و'أوزار الاجتماع' و'دود الجبن' و'الخيط الأبيض' و'الخيط الأسود' و'حدثني جبران' و'التشاؤم والمتشائمون' و'مجد القلم'.

يقول في مقالته 'الأدب والدولة':

هناك أدباء ينعون على الدولة إهمالها للأدب فهم يريدون منها أن تشجعهم بائتياع قسم من نتائج أقلامهم أو بإسناد وظيفة إليهم بتسخير أبواق الدولة للإشادة بمواهبهم. لقد ساء ما يبتغون، فهم من حيث لا يعلمون ويبتغون لأقلامهم الرق ولأفكارهم الانغلاق ولمواهبهم الموت"

ويقول في مقالته عن غاندي:

"وهكذا أصبح المغزل في يد غاندي أمضى من الصيف في يد 'جان بل'، وأصبحت الملاءة البسيطة البيضاء التي كانت تلف جسد غاندي النحيل درعا لا تحترقها مدافع أساطيل سيدة البحار وأصبحت عنزة غاندي أشد باسا من الأسد البريطاني وهكذا انتفضت الهند كلها انتفاضة جبارة ومشيت بأجسادها وقلوبها وأرواحها خلف ذلك الرجل الزاهد - الا في الحياة كما شاء الله أن تكون - السائر إلى غايتين في جسد هزيل لو توكلت عليه لانهدم ولكن بروح تهزأ بالمادة وجميع مغرياتها وتهزأ حتى بالموت".

ثم يقول في مقالته أوزار اللغة:

"ما من لغة يتكلمها ويكتبها الناس في زمان الطيارة والراديو والصاروخ الا تشكوا تضخاما في موارثته عن ماضيه من قيود وحدود ترهق المتكلم والكاتب على السواء فلا هي تجلو معنى ولا هي تدفع لبسا وجل ما في الأمر أن الذين خلقوها في سالف الزمان خلقوها لغاية من الغايات فذهبت الغايات وبقيت القيود والحدود وكان من الحق والواجب والمنطق أن تذهب القيود والحدود بذهاب الغاية التي وجدت من أجلها ولكن الناس يألفون قيودهم كما يألف العصفور السجين قفصه فلا يتنازلون عنها إلا مكرهين".

سبعون

كتاب 'سبعون' حكاية عمر الذي نشره ميخائيل نعيمة سنة 1959م وكان سنة سبعون عاما. وقد حاول فيه نعيمة أن يصور حياته في أسلوب صادق، فجاءت سيرة صادقة، ومكتملة الإنسانية. يقول فيه الأحاديث المهمة التي لها أثر عظيم في تصيغ شخصيته.

وقد قسم ميخائيل نعيمة حكاية عمره إلى مراحل ثلاث، المرحلة الأولى تظهر إلى عزلة وانفراده. وكان منذ حدثه يميل إلى التوحد ليراقب الطبيعة ويسعد مخاليقها، مبتهجا بشروق الشمس وغروبها، وبالعصافير والديدان، وبالميال المتدفقه والأشجار الباسقة وبالنجوم الغامزة وغيرها. وكان يتأمل في الطبيعة وفي كائناتها عامة فقد بات يقلقه ويسأل في نفسه:

أهذه كلها خلقها مثلما خلقتني ؟ ولماذا؟ وقد لاح لي غير مرة في ساعات استرسالتي مع تأملاتي الباكرة أنني على وشك أن أظفر بالجواب، فكأنه كان تحت لساني أو وراء أجفاني²⁰⁴.

وفي مرحلة الثانية يقول عن القلق والإبداع. وكانت

هذه المرحلة مرحلة الاضطراب والقلق. وفي فترة هذه المرحلة تصل روحه إلى درجه الاطمئنان، وكانت هذه الدرجة الروحية نتيجة التيارات الروحية مثل الصوفية. وكان يدرس ويتأمل عن تعاليم الباطنية. وأخذ ميخائيل نعيمة يعبر عن عقله وقلبه شعرا ونثرا. وهكذا وقد نعم في هذه الفترة. كذلك بسُلطان الحب الروحي الفائق، ذلك الحب الذي يرفع الإنسان إلى أرقى درجات التسامى حيث يتحد بجميع الكائنات. ويقول:

" أيها الحب، أنت البداية التي منها كل بداية، والنهاية التي إليها كل نهاية. بك تتماسك الأقمار والشموس، والمجرات، وحولك تدور منك تنبع الحياة، ومن الحياة الجمال، ومن الجمال الحق. سلطانك هو السلطان، وقضاؤك هو القضاء، وعدلك هو العدل. أنت السحر والساحر، أنت الخالق وأنت الخليفة، أنت الكل في الكل. فالمجد لك ... أيها الحب، ها أنا قد جعلت قلبي هيكلًا لك. فقدسه يا أقدس المقدسين".

وفي مرحلة الثالثة يقول عن توحده وغزله. وقد أعلن

عزمه على عزلته لأهله مبكرا، وهو في ما فوق الأربعين

قليلًا. وعاد نعيمه عام 1932م. بعد سفرته الروحية الطويلة
ليعيش حياة تعشف وتأمل، حياة هادئة، مسالمة مطمئنة،
قناعة، محبة، خالية من الخوف، متوكلا متألما. وكان يعيش
كما يدعو الناس ' الناسك الشخروب'. وفي هذه المرحلة ،
مرحلة الانعزال والتأمل، يعيش في الكتابة والتأمل والنشر.

Mohammed Ali Askar, K. “A Comparative study of Gibran Kahlil Gibran with Michael Naimy”. Thesis, Department of Arabic, University of Calicut, 2008

الفصل الرابع

جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة

الباب الأول : آراء جبران ونعيمة في

الشعر

الباب الثاني : النزعات الصوفية عند جبران

ونعيمة

الباب الثالث : نبي جبران ومرداد نعيمة

الباب الرابع : اعتقاد جبران ونعيمة في

التقمص

الباب الأول

آراء جبران ونعيمه في الشعر

قد قلنا عن المبادئ الهامة التي قد نشرت القلمية بين أصحابها وأدبائها. وكان جبران خليل جبران ونعيمه يعتقدان أن للأدب محتوى وشكلا، وبدونهما يستقيم ولا تقوم له قائمة. وإذا ما تصفحنا ما ورد المقدمة التي كتبها نعيمه لمجموعة جبران خليل الكاملة، عن مواقف الرابطة القلمية مواقف عميدها أي جبران خليل جبران ومستشارها ميخائيل نعيمه، نجد أن جبران خليل جبران يعطيان للشعر تعريفاً، فيه من الشاعرية والخيال ما فيه من الواقع. وربما يكون ذلك عائداً إلى أسلوب الرجلين الذين اتصفاً بالكتابة المجنحة عبر والقريبة من الشاعرية في أحيان كثيرة.

فعندما يقول جبران خليل جبران : " الشعر

مقدسة متجسمة من ابتسامة تحيي القلب أو تنهده

تسرق العين مدامعه، أشباح مسكنها النفس، وغذاءها

القلب ومشرّبها العواطف"²⁰⁵ الشعر إذا هو روح مصدرها الله يدخل إلى القلب فينعشه، يجعل موضوعه الأحزان وهو من مشتقات العواطف والأحاسيس. فهذا لا يبلغ جبران خليل جبران لب المسألة، إذ ضفاف مجنحة تؤكد على جانب مهم، يجب أن يراعى في الشعر هو العاطفة. لكنه تعريف يبقى مقصرا التعاريف العربية القديمة للشعر" هو كلام مقفى له معنى"²⁰⁶

ففي مكان آخر، وتحت عنوان شعراء المهجر نعيمه: لو تخيل الخليل أن الأوزان التي نظم عقودها وأحكم أوصالها ستصير مقياسا لفضلات القرائع وخيوطا تعلق عليها أصداف الأفكار لنثر تلك العقود وفصل تلك الأوصال"²⁰⁷

ومن الواضح أن جبران خليل جبران ينتقد المهجري وخصوصا في مضامينه التي أصبحت بقايا قرائع لا تجد فيها أثرا لفكره وهذا ما جعلنا نستنتج

²⁰⁵ جبران خليل جبران : المجموعة الكاملة، ص 287
²⁰⁶ تاريخ النقد الأدبي عند العرب د. إحسان عباس 191
²⁰⁷ المجموعة الكاملة : جبران ، من مقال شعراء المهجر ص 286

آخر لتعريف الشعر هو التأكيد على سمو مضمونه.
ويعاتب جبران خليل جبران:

" أنتم أيها الشعراء الحقيقيون سامحونا فنحن
العالم الجديد يركض وراء الماديات، فالشعر عندنا
مادة تتناقلها الأيدي ولا تدري بها النفوس"²⁰⁸. وهذا
تأكيد جبران خليل جبران على تسامى الشعر الذي
على النفس أكثر مما يعول على الماديات. إلا أن
الضرورة تقتضي أن يغوص الشعر في هذه المادية
دون أن يفقد روحه.

فالشعر إذا هو كل شيء جميل، هو روح تتوغل
الأعماق، وتنتشر في الأرض وتعانق الزمن. أنه
ومادة. وقريب من هذا المفهوم ما يذهب إليه ميخائيل
نعيمه في قوله: "هو غلبة النور على الظلمة والحق على
الباطل. هو ترنيمه البلبل ونوح الورق وخريف الجداول،
وقصف الرعد. الشعر هو لذة التمتع بالحياة والرغبة
أمام وجه الموت. هو الحب والبغض والنعيم والشقاء.
هو صرخة اليائسة وقهقهة السكران. الشعر سيل جارف

²⁰⁸ المرجع السابق ص 287

وحنين دائم. هو الذات الروحية تمتد حتى تلامس أطراف
الذات العالمية، الشعر هو الحياة ضاحكة وناطقة وصامتة
ومولولة"²⁰⁹.

إذن يعتبر نعيمه الشعر صوتا معبرا عن
الإنسان وعواطفه وعن كل ما يصادفه في الوجود، من
مادة ومعنى، من ظاهر وباطن. يقول الدكتور محمد
يوسف نجم عن أدباء الرابطة القلمية وشعراءها بأنهم
هم الذين نفحونا بروحانية طفي
الفلسفي الصوفي²¹⁰ ولن نبعد كثيرا في تفسير
القول، إذ إن القارئ لأدب هؤلاء الأدباء المهجريون،
خصوصا جبران خليل جبران ونعيمه، يلمسه
الصوفية القائلة بوحدة الوجود حيث تتوحد الكائنات
والأشياء.

ولقد اعتبر جبران خليل جبران " إن تعدد العناصر
الكونية لا يعني تجزئا ذاتيا في هذا
مجموعة مظاهر متفرقة لوحدة جوهرية هي الألوهة.
وهذه الوحدة تنتظم العالم، لا في مزيج بدون قياس،

²⁰⁹ الغربال : نعيمه ، دار صادر بيروت 1964 ص 66

²¹⁰ القصة في الأدب العربي الحديث : د محمد يوسف نجم ص 86

في انتظام تصاعد أو قيمي يجعلنا تتبين في حالة الكون
 شكلاً هرمياً على سبيل التقريب²¹¹. وللمثيل على
 نقرأ لجبران في كتابه " البدائع والطرائف ": "وأنا
 دخلت المدينة المحجوبة بجسدي وهو روعي
 ودخلتها بروحي وهي جسدي الخفي... إنما
 وعطرها شيء واحد"²¹².

²¹¹ في ذكرى جبران : اتجاهات جبران الفلسفية : عسان خالد مكتبة لبنان،
 بيروت، 1981، ص 198

²¹² البدائع والطرائف، جبران ، المجموعة الكاملة، ص 584

الباب الثاني

الزرعات الصوفية عند جبران

ونعيمه

1. التصوف

وقد اختلف العلماء في كلمة التصوف. بعضهم يقولون إنها مأخوذة من كلمة 'صفاء' وبعضهم يقولون أنها انتجت من 'أصحاب الصفاء' الذين أنفقوا أوقاتهم في درس القرآن والحديث وسائر العلوم الدينية²¹³. وقد استعملت هذه الكلمة في أواخر القرن الثاني الهجره²¹⁴.

وقد تأثرت الحركات الصوفية في تيارات الحياة الإنسانية الروحية. ظهرت الصوفية عند الباحثين المحدثين بمجرىين كبيرين دون التفاصيل، أحدهما الصوفية 'المافوق الطبيعية'، وثانيهما 'الصوفية الطبيعية'. فالأول هو تصوف منطلق من الديانتين

²¹³ Sufism, its saints and shrines - John A Subhan

Indigo Books, New Delhi, 2002, P 6

²¹⁴ A NicholsonR. , Studies in Islamic Mysticism.

Delhi, 1998 Adam publishers ,

الإسلامية والمسيحية. هي اتصال حب من الله بالإنسان يرفعه به فوق طبيعته ليغمره في الفيض الإلهي²¹⁵.

والثاني منطلق من المذاهب الهندية هي : لم شوقا إلى الاتحاد الناشئ عن حب لإله مفارق، ظمأ إلى وحدة الطبيعة، أي شوق الإنسان بخروجه حدود التشخيص إلى أن يعثر من جديد بالمبدأ الأعلى الذي لا صورة له ولا حد ولا نهاية جوهر الصوفية فيبقى واحداً يتجلى السامية، حتى أنها ترعرعت ونمت وانغرست في قلب الانسان ليصبح نبيا او حكيما أو أديبا أو عالما.

وقد أشار محمد غلاب في دراسته التكوين الخلفي بأنه 'الثمرة الواقعية الأولى للتصوف أو للاتجاه الروحي؛ 'يحمي الأمم من التحلل التفكك والضياع لأنه مما لا شك فيه أن التصوف هو مدرسة الطهر والعفة'²¹⁷. وأول صفة نرى من الصوفيين من أي فئة كانوا هي ميلهم الفطري

²¹⁵ التصوف المقارن : محمد غلاب : مطبعة نهضة مصر 1956 ص 24

²¹⁶ التصوف المقارن : محمد غلاب : مطبعة نهضة مصر: 25-24

²¹⁷ المرجع السابق

والانفراد. ويبدأ هذا الميل عادة مبكرا منذ حدثهم.
 والطبيعة تكون صديقتهم الوفية، ينشون بكائناتها
 الأرضية والسماوية، فيشدد شعورهم بالخلق والخالق،
 كما ينمو في صدورهم احساس مرهف فائق بالقوى
 الباطنية، وتكثر أسئلتهم. أما الدين فيمدهم منذ البداية
 بإيمان عميق بالله، ويشعرون بالتفوق الغربية، ويحسون
 بروح الله تحل في جميع الكائنات. وهذه الروح
 عليهم لكي ينطلقوا باحثين عن المعرفة الكبرى
 طريق الحق والجمال والكمال. ويكبر في صدورهم
 ضمير حي طاهر نقي من الآفات البشرية. وفي قلوبهم
 تنمو المحبة بأسمى مظاهرها، محبة الانسان للإنسان
 والكائنات والأكوان والخالق. وأريد أن احلل في
 البحث شخصية جبران خليل جبران أولا ثم
 ميخائيل نعيمة، وأحاول تكشف النزعات الصوفية في
 شخصيتهما.

2. العناصر الصوفية في جبران

حينما نحلل شخصية جبران نرى أنها قد تجسدت الثورة زمنًا طويلًا، وثار جبران ضد الظلم والفساد، وعاتب النزعة الكليركية ورجال الدين في وطنه أسلوب قاسٍ. وبعد ذلك ظهر جبران كتجسد جديد القلق الميتافيزيقي وللعمل على كشف أسرار مصير الانسان. وهذه ميزة لشعوب سورية ولبنان المقدسة الغنية بمواهبها. فإذا ما نظرنا إلى حياة جبران الأدبية مثل هذه النظرة سهل علينا العثور في تحليل مؤلفاته المتتابعة، كما يفعل ميخائيل نعيمة في مقدمة المؤلفات= على برنامج لتطور عبقريته بصورة تدريجية، منذ الثورة التي عصفت به في صباه والاستقرار الذي انتهى إليه في سن النضج، ثم حب العزلة والوحدة، وأخيرًا نكوصه الذي خيمت عليه حكمة يائسة.

نرى أن الشعر تمرين روحي. وكان جبران يتمرن الشعر في حياته وتأليفه وتصويره لأنه كان يكتب ويصور الشعر في كتابته شعر وفنه شعر. نرى أن لمعتقدات المتصوفة الهنود والمسلمين المتشابهة تقريبًا لأننا نرى نظرية وحدة الوجود في هذين التيارين الروحية، وكان

جبران يعتقد في وحدة الوجود ويعتقد أنه جزي الله الخالق.

وفي كتابه 'ارم ذات العماد' يحاول جبران أن في قالب قصصي خلاصة ما توصل إليه حتى ذلك من التأمل في الإنسان ومصدره وحياته ومآبه وفي الزمن والمكان وفي الروح والمادة وفي الموت والحياة بعد الموت²¹⁸. فيخلص إلى نتيجة واحدة هي في الوجود كائن في باطنك، وكل ما في باطنك موجود في الوجود. وليس هناك حد فاصل بين أقرب الأشياء وأقصاها، أو بين أعلاها وأخفضها أو وأعظمها. أما معرفة هذه الأمور كلها فلا تأتي إلا عن طريق التشوق إليها. والتشوق ميسور للجميع. ففي مستطاع كل إنسان أن يتشوق ثم يتشوق ثم يتشوق حتى ينزع الشوق نقاب الطواهر عن بصره فيشاهد إذ ذاك ذاته. ومن ير ذاته ير جوهر الحياة المجرد. وفكل هي جوهر الحياة المجرد وذلك ما قاله 'سقراط' اعرف نفسك! وما قاله المتصوفة المسلمون وغير المسلمين

²¹⁸ مقدمة مجموعة الكاملة لجبران : كتبها ميخائيل نعيمة : ص 29

من بعده، وما قالته 'الفيداء' قبل سقراط والمتصوفين
وما ينتهي إليه في الغالب كل الذين يأبى عليهم خيالهم
وفكرهم أن يقبلوا الأشياء على ظواهرها كما
الحواس وأن ينكروا القدرة التي تتبطن عنها الظواهر،
والتي تبدل الظواهر ولا تبدلها الظواهر. وهي القوة
الكلية الشاملة السرمدية. وقل من قاله بأسلوب شعري
كأسلوب جبران خليل جبران²¹⁹.

نرى في 'ارم ذات العماد' ان جبران قد اختار
شخصيات هي: زين العابدين النهاوندي وهو
عجمي بالأربعين من عمره، معروف بالصوفي، ونجيب
رحمه، أديب لبناني في الثالثة والثلاثين
وأخيراً آمنه العلوي معروفة في تلك النواحي بجنتية
الوادي ولا أحد يعرف عمرها.

والمكان الذي تحدث فيه القصة هو غابة صغيرة
الجوز والحوار والرمان تحيط بمنزل قديم منفرد
منبع العاصي وقرية الهرمل في الشمال الشرقي
لبنان. سكان هذه القرية من الشيعة ولا

²¹⁹ المرجع السابق : ص 29

اختيرت عن قصد معين. والزمان القصة هو يوم من أيام تموز في سنة 1883، وقد اختار جبران هذه السنة سنة ولادة جبران.

يرفع الستار حين يربط نجيب رحمه مقود بجذع شجرة وينفض الغبار عن ملابسه قبل أن الدرويش الغارق في تأملاته عن مسكن آمنة وآمنة الشخصية الرئيسية، لأن غيابها يملأ المسرح منذ الكلمات الأولى حتى دخولها بعد أن يمهد لهذا الدخول الآخرين برواية تاريخ حياتها. ولكنها شخصية غامضة، وهي نصف آلهة. لأن جبران يحيطها بجو من الشك يخيم على انتمائها للجنس البشري، حتى إذا ما ظهرت بهيئتها وحركاتها وملابسها أقرب من معبودات الشعوب الغابرة منها إلى امرأة شرقية في الزمن الحاضر. ومن الصعب تحديد عمرها بمجرد النظر إلى ملامحها. فكان الشباب في وجهها يستتر الف سنة والاختيار.

أما نجيب وزين العابدين " فيظلان خاشعين متهيئين". ومع ذلك يمكن لبعض التفاصيل

سيرتها أن تحدد هويتها. ولكن في أي عصر؟ يقول الكاتب: "ولدت في دمشق، أما والدها الشيخ عبد الضرير المشهور بالعلوي فقد كان أمام زمانه في العلوم الباطنية والتصوف". نتردد قبل أن نفترض الصوفي المعروف بهذا الاسم في القرن السادس الذي يحمل لقب "النايلسي" وكتب تفسيراً للكتاب "كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفريد" هو عبد الغني النايلسي²²⁰. وقد نعت جبران "النايلسي" بنسب آخر، وليس من المستحيل أن الوقائع المذكورة تتعلق بأسطورة محلية، وأهم حادث في حياة أئمة المتصوفة ذهبها إلى الحج في سن الخامس والعشرين مع والدها الذي يموت في الطريق، ثم السفر إلى مدينة وحيدة بدون دليل.

وهي تعود إلى الظهور بعد خمس سنوات الموصل حيث تستقبل بحماس ولكنها تضطهد على الشيوخ وفقهاء الشريعة الذين يحسدون على نجاحها. ونعلم أثناء الحوار أن الدرويش العجمي، قد

R.A Nicholson , Studies in Islamic Mysticism ²²⁰
Delhi, 1998 Adam publishers ,

نهاوند، ونشأ في شيراز، وتثقف في نيسابور، وجاب مشارق الأرض ومغاربها، وأنه غريب! في كل حسب الصيغة العزيزة على قلب جبران والتي اخترعها من أجله. لأن جبران كان يقول كثيرا لأصدقائه أنه غريب أنا غريب، "غريبا كنت بينهم وغريبا وساموت غريبا حتى عن نفسي"²²¹ ونرى أن هذا جانب من جوانب جبران نفسه، وهذا الدرويش مسلم شيعي، يقوم بمهمة اطلاع كل من يريد على ما يتعلق نجيب رحمه فهو شخصية رئيسية بمعنى آخر، يختلف عن معنى شخصية آمنة وهو يبدو منذ البداية، ولكنه على المسرح ولا يظل عليه كأثاث أو عنصر من المشهد، ويظل حتى النهاية دون أن يكف عن الدرويش الذي يصمت من ثم ليدعه يتكلم مع آمنة.

حتى إذا قربت ساعة الرحيل استأذن من الدرويش وهو يعتقد أنه سيمكث وكأنه أخ وهكذا لا يحتل الملم بالتصوف مكانة أرفع من مكانته هو المسيحي اللبناني الذي جاء يستشير الحكمة قد تجسدت

²²¹ جبران خليل جبران : نعيمه : ص 153

في آمنة الروحانية. يسيران معا جنباً إلى جنب، المسلم والمسيحي وكل منهما يصير لوحدة الأديان الأساسية.

تشير كثيراً من الدلائل إلى نجيب رحمه تجسد لجبران، بينما تمثل آمنه الحكمة الغير الشخصية، وفي نفس الوقت ضرباً من الآلهة النسائية. يحمل نجيب اسم عائلة أم جبران، كان اسم أمه "كاملة بنت اسطوفان رحمه". ويعود بنا اختيار تاريخ المشهد الغريب إلى التساؤل، إلى أي حد خلط جبران بالواقع. ولكن إذا كان نجيب رحمه يمثل جبران فلماذا لا يتبعه بعد اسدال الستار في تنقلاته في أمريكا، يصبح أخيراً النبي المبشر وناشر الحكمة التي استقاها من منابع نهر العاصي بالقرب من هذه القرية الشيعية.

ونرى أن 'ارم ذات العماد' قطعة أدبية سامية وهكذا كانت خيالية صافية ولا تتعلق بالواقع مطلقاً. وقد جبران اسم 'آمنة العلوية' لموسيقاه ولطف فأمنة تعني الهادئة المطمئنة. والعلوية تعني السماوية الرائعة. يقول جبران عن مدينة 'ارم الخرافية'

يتخذها رمزاً لرتبة المعرفة الصوفية لا يدركها إلا القلائل المختارون.

ولما كانت آمنة اطلعت على أسرار الحكمة القديمة فقد اختارت ملجأ لها منطقة منعزلة جميلة بالقرب 'الهرمل' وكان جبران قد زارها أكثر من صباح²²². وتقع هذه المنطقة على الجانب الشرقي من جبل الأرز، بينما تقوم 'بشري' مسقط رأس جبران، على الجانب الآخر. وهي تبعث على التفكير الهادئ والتأمل الطويل ويمكن أن نعتبر نجيب رحمه، وهو رجل بشري، كتشخيص لجبران في بحثه عن الحكمة الشرق القديمة الخفية.

ونستطيع لنا أن نقول أن جبران قد تهيأ هذه القطعة الأدبية عمداً وقصداً لأنه كان ميّالاً إلى التيارات الروحية أي الصوفية التي كانت تجري في روحه وكل عروقه وأعضائه.

3. العناصر الصوفية في نعيمة

²²² جبران خليل جبران : نعيمة

كما عرفنا حياة جبران وميوله إلى التصوف، كان نعيمه أيضا قد تأثر كثيرا من الصوفية الروحية. وكان ميخائيل نعيمه منذ حادثته التوحد ليراقب الطبيعة. وقد وصف هذا 'سبعون' وصفا حيدا. وكان يراقب الطبيعة مبتهجا بشروق الشمس وغروبها، وبالعصافير والديدان، وبالماء المتدفقة والأشجار الباسقة، وبالنجوم المضيئة، وبالقمر الذي لا يتعب ولا يكلل، وقد جميع الكائنات، فأحس بالظلال السحرية التي عانقته وسمع همسات السكينة التي أفرحت قلبه، يتسائل، وعيناه الامعتان تحدقان إلى كل شيء إنما يستطع التعبير عن إحساسه ولم يستطع الأمور التي تفرحه وتسحره، أو تغبضه وتسكته²²³ بات نعيمه في صباه يقلق ويلج عليه بالسؤال: "أكلها خلقها مثلما خلقني؟ ولماذا...؟ الأولى الدينية أتاحت له أن ينعم ببعض الجواب²²⁴.

²²³ سبعون : نعيمه : 85

²²⁴ المرجع السابق

ويقوى اتصاله بالقوي الباطنية، ويقوي معها
احساسه بالغبرة. فهو بين الرفاق وبين الصحاب،
يختلف عنهم. وبدأ أن يطلب معرفة الأسرار. ومن
يصطحب عقله ليكون رسولا صادقاً. وبعد أن يؤمن
الخليقة لم تكن من العدم، إنما خالقها هو الله الذي لا
يحدّه زمان ولا مكان. يقول ميخائيل نعيمة في
سبعون: "آمنت بالله" ثم يقول عن التسائل
وقعت في نفسه. وأين كان الله من قبل أن يكون مكاناً
وزماناً؟ كان في الأزل، وكان يملأ الأزل. وما هو الأزل؟
إنه الزمان الذي لم يبدأ في زمان. وإلى متى
الله؟ إلى الأبد. وما هو الأبد؟ إنه الزمان الذي
في زمانه. وهل الخلق كذلك لم يبدأ في زمان، ولن
ينتهي في زمان، فهو أزلي بأزلية الله وأبدي بأبديته؟
آمنت بالله" ²²⁵.

وقد أظهر تألمه من الأديان التي علّمت
غير حقيقته ²²⁶. فالله واحد لا يتزأ وهذا الشعور قد نما
في حياته، حتى إذا راح يسأل ربه 'أين أنت؟

²²⁵ سبعون : نعيمة : 85-159

²²⁶ مذكرات الأرقش : نعيمة ، مطبعة المناهل بيروت ص 27

الحيرة. " بل أين أنت " ²²⁷ وان قدس الله فإنما يقدر
نفسه، وأن صلى الله فإنما يصلى لروحه التي ما
الانعكاس الله في ذاته. وفي كثير من الأوقات يعبر عن
هذا الشعور المتألمة بشاعرية صوفية رائعة فيقول :

"إذا بك يا الله في وسط الكل، ومن حول
ومن فوق الكل، تغمرهم ببسمة من بسماتك، وتحييهم
بنسمة من نسماتك، وتهمس في كل أذن من آذانهم:

من لم يرتوى بدموعه فلن يرتوى إلى الأبد

ومن لم يتغذ بقلبه فلن يشبع إلى الأبد

ومن لم يحرق عينيه فلن يبصر إلى الأبد

والذين ما سمعوا، وما فقهوا اليوم سيسمعون
شك في الغد ويفقهون. فما أجملك! وما أعدلك! وما
أكملك يا الله! " ²²⁸

لا شك أن هذا التعبير تعبير صوفي، كفرج الصوفي
بالتصاعد السعيد، والغمرة النورانية بالجمال الأسنى

²²⁷ كرم على درب : نعيمه ، دار المعارف ، مصر ص 10

²²⁸ البيادر : نعيمه ، دار المعارف مصر 15

الذي اشتاقت نفسه إليه في كل ساعة وفي كل دقيقة من حياته. وفي كتابه 'المرداد' والإنسان معاً، ويتحد الله بالإنسان أو الإنسان بالله، ويقول في درجة التي يصل إليها الصوفي: "الا اعلموا أن ليس هناك إله وانسان، بل هنالك الاله - الإنسان والإنسان - الإله. هنالك الواحد الذي مهما تكرر او بقي أبداً واحداً"²²⁹.

وهكذا نرى في حياة نعيمه وفي أقواله ما حياة الصوفيين وفي أقوالهم. وأهل التصوف قد اعترفوا بثنائيات الحياة. وقبلوا كل ثنائية حتى أصبح الموت مثلاً كالحياة، والحياة كالموت²³⁰. وهذه الفكرة بالذات عبر عنها ميخائيل نعيمه تعبيراً واضحاً. آمن نعيمه بالموت مثل دورة من دورات الحياة. ففي قصيدته الآن: إشارة واضحة إلى أن الموت حلقة من الحياة. ونرى إيمان الشاعر الصوفي بأن نفسه فيض من الله، في قصيدته " من أنت يا نفسي"²³¹. فتساوى

²²⁹ كتاب المراد : نعيمه 87

²³⁰ Studies in Islamic Mysticism, R.A Nicholson

Delhi, 1998 Adam publishers ,

²³¹ همس الجفون : نعيمه 16-21

عينه جميع الكائنات، وتتألف جميع الثنائيات. فالكون وحدة تامة، ولو تعدد فيها الأشكال.

يقول شوقي ضيف في كتابه 'دراسات في الشعر العربي المعاصر' عن ديوان نعيمه 'همس الجفون'؛ يستكمل حياة نفسية تامة وهي حياة نفس هادئة كالبحر الساجي فلا رياح ولا عواصف الحياة بما فيها من خير وشر، وازدراء للعقل وشكوكه وأوهامه، وإيمانه بالقلب، وما يدرك من أسرار الوجود والغازه، ورغبة في الوصول الصوفي إلى عالم السماء الروحي²³².

ويقول وديع ديب في كتابه 'الشعر العربي المهجر الأمريكي' عن ميخائيل الروحي: "وهذا الحنين إلى عالم الروح هو منحي مناحي الصوفية. ورغبة من رغباتهم"²³³ ويقول بعض الدارسين الأدب مثل إحسان عباس ومحمد

²³² فصول الشعر ونقده : الدكتور شوقي ضيف: دار المعارف 1988
²³³ ديب ، وديع ، الشعر العربي في المهجر الأمريكي ، دار ربحاني للطباعة والنشر بيروت 1955

ميخائيل نعيمة قد تصور الإنسان تصورا صوفيا"²³⁴ .
ورأى المؤلفان كذلك أن نعيمة "يمن
بالحب الوهمي"²³⁵ ونرى أن الصوفي يرى قلبه معبرا
لجميع الناس. فيتغنى بالحب والمحبة وهو في توحده
وعزله. وللحب أو المحبة مظهران أحدهما
وثانيهما إيجابي. فالمظهر السلبي يتجلى عند الفنانين
العباقرة والشعراء والملهمين والحكماء والمفكرين
الذين ينظرون على ذواتهم، متوحدين، متألّمين
سبيل المعرفة والخلق والإبداع جاهدين في
بالفضائل الإنسانية، أهمها الكف عن الأذى، وتطهير
القلب من الحقد والحسد واللؤم. أما المظهر الإيجابي
فهو عند المفكرين المصلحين الاجتماعيين
يسعون لتحسين حالتهم المادية والمعنوية، فيعيشون
بينهم داعين إلى التآلف والفضائل الإنسانية. وقد
هذين المظهرين في شخصية ميخائيل نعيمة. ولا
أن لنعيمة تعابير الصوفيين، وأفكارهم وأمانيتهم،
ومجاهدتهم، كما أن لنفسه أحوالا ومقامات، ظهرت

²³⁴ الشعر العربي في المهجر أمريكا الشمالية ، عباس إحسان ومحمد نجم ،
دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1957 ص 189
²³⁵ المرجع السابق ص 191

شعره واضحة، ومرت بنثره حتى اكتملت ونضجت في كتابه 'مرداد'.

وقد وصل ميخائيل نعيمة في جميع قيمه إلى أعلى ما يصبو إليه على لسان مرداد. وقد وقف مرداد بين الشرق والغرب واعطاء مرشدا. كما المسيح من قبل بين الشرق والغرب واعطاء مرشدا، إنما مرداد نعيمة هو المسيح بمحبته، وقوة إرادته، وحزمه وخلوده، وهو المتصوف بشاعريته وإيمانه، وهو النتيجة الحتمية لامتزاج الثقافة الشرقية بالغربية، وهو انتصار الإيمان على العقل في جميع مظاهره. ولا عجب إذا قلنا أن مرداد هو نعيمة نفسه، هكذا أراد أن يكون، على مثاله يحمل رسالة الإنسان إلى أخيه الإنسان دعوته إلى الملاءمة العالم اليوم فلا يزال دوامة من الواقعية المحسوسة التي تعطي النتائج. بذلك الإيمان وانتشرت المادية بأعنف مظاهرها.

نرى أن الصوفيون هم قديسون ساروا سفرتهم الطويلة يعيشون في العالم المحبة، ويعطون قلوبهم ثمارا. وقد جاوز ميخائيل نعيمة هذه المرحلة

لأنه قد نشر الدعوات التيارات الروحية بين الناس بواسطة شعره ونثره. وامتاز بثقافة عميقة استمدتها من مظاهرها، ثقافة روسية، وثقافة أوروبية، أمريكية، بالإضافة إلى ثقافته الشرقية التي حافظ عليها بسلوك الصوفيين داعياً إلى وحدة العالم الإنسانية، لكي يتوافق لكل إنسان دون اعتبار الفروق، وطن عالمي، وحكومة عالمية، وهدف عالمي واحد.

الباب الثالث

نبي جبران ومرداد نعيمه

نحن نرى أن جبران خليل جبران وميخائيل صديقان حتى أن مات جبران في سنة 1931م، وممكن أن يكون الشركة بعضهم البعض في الكتابة والأسلوب والآراء والفلسفة. كان جبران خليل جبران فلسفي عظيم، وهو مشهور لكتابه الفلسفة العميقة. وفي كتابه النبي يمثل ذروة أفكاره المجيدة.

والفيلسوف ميخائيل نعيمه يعبر وفلسفته في كتابه المشهور 'كتاب مرداد' هو كتاب الذي يعطينا الشعور بأننا نتدفق بالغيوم لاكتشاف الألغاز خلفهم. غيمة بعد الغيمة تكشف الحقائق. كتاب 'مرداد' ينور رأينا ويجعل نفوسنا في الهواء النقي.

ان الكتاب 'النبي' الذي ليس فقط قد يوجد في المكتبات العامة من العالم ولغات العالم، لكن على العقول المفكرة أيضا. بينما يمر واحد بكتاب 'مرداد' يشك لماذا هناك وعي صغير جدا حول هذا الكتاب.

والدخيرة الفنية من الأفكار، اختيار الكلمات، انسجام
الإحساس والشكل، كل يشير إلى عظمة هذا الكتاب. لا
شك أن المقارنة بين هذين الكتابين تثير النشاط
قلوب الدارسين.

المحبة

وقد قال جبران خليل جبران ونعيمه كثيرا
 الحب. وقد أعلن هذان الأديبان آراءهما في الحب،
 ميول إلى الحب الأفلاطوني.

يتكلم المصطفى مع أهل اورفليس:
 "إذا أشارت المحبة إليكم، فاتبعوها، وإن
 مسالكها صعبة متحدرة،

وإذا ضمتكم بجناحها فأطيعوها،
 وإن جرحكم السيف المستور بين ريشها.
 وإذا خاطبتكم المحبة فصدقوها
 وإن عطل صوتها أحلامكم وبددها
 كما تجعل الريح الشمالية البستان قاعا
 صفصفا"²³⁶.

نستطيع أن نرى أن جبران يذكر أهمية الحب ولو أنه
 يحذرنا وينذرنا من لقائات الصعوبات المشقة
 الطريق إلى الحب. والواضح أنه عندما يضمن الحب حياة

²³⁶ النبي : جبران ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1997م ص 35

**مليئة بالإزهار والسعادة، هي يجب أن تكون تمرينا
صعبا.**

يقول ميخائيل نعيمة في كتابه 'مرداد' عن أهمية

الحب:

" فأنتم ما حيتيم الا لتعرفوا المحبة. وأنتم
أحببتم الا لتعرفوا الحياة. تلك هي الأمثلة التي
أن تحفظوها والتي إذا ما حفظتموها كنتم في غنى عن
كل أمثلة سواها".²³⁷

يعلن ميخائيل نعيمة أنه لا يمكن أن تكون هناك حياة
بدون حب، أو لا نستطيع للنجاح في الحياة بدون
خالص. خلق الإنسان لإدراك الحب. والمعيشة والمحبة
واحدة حقيقية في النفس الإنسان. لأنه لا يمكن أن يأخذ
واحدا بدون الآخر. عندما يعيش الإنسان حياته الكاملة
يحب جوهرها.

نحن نعتبر ميخائيل نعيمة في آراءه. ما الأمر
يحب الإنسان؟ هل الإنسان يختار ورقة خاصة من شجرة
الحياة؟ وتصب فوق كل قلوب؟ أي الفرع الذي
الورقة؟ أي الجذع الذي يحمل الفروع؟ وأي تربة فيها

²³⁷ كتاب مرداد لنعيمة، الترجمة العربية، مكتبة صادر بيروت 1952 ص 633

تنبت الجذور؟ ما الشمس والبحر والهواء الذي يخصب
التربة؟ يقول نعيمه:

" إن تكن وريقة واحدة على الشجرة
بمحببتكم فأحر بالشجرة كلها أن تكون جديرة بها. . .

إن محبة تنحصر في جزء من الكل لمحبة تحكم على

ذاتها بالعذاب المؤبد. تقولون : ولكنها الأوراق

الشجرة الواحدة تختلف بعضها عن بعض أعظم الاختلاف

فهناك الورقة الصحيحة والورقة المريضة. وهناك

الجميلة والقيحة. وهناك الورقة العملاقة

القزمة. فكيف لنا الا نختار ونفضل؟ " ²³⁸.

يمكن أن نلاحظ أن ميخائيل نعيمه يذكر مباشرة

لمع جبران بين سطورهِ عندما قال : "ولو كان

الحب صعباً وحادة!"

وإذا نحن لسنا نزهاء وغير متحيزين في الحب، التي

سوف لن تفيدنا، لكن تكون علامة البؤس، كيف

الزهرة الجميلة ونكره الشوكة؟ . كلاهما جاء من

²³⁸ كتاب مرداد لنعيمه ، الترجمة العربية، مكتبة صادر بيروت 1952 ص 633-

البذرة واستلم الغذاء من نفس التربة. وكيف نحرم جذرة
حبنا وتربة حبنا؟ لا نستطيع لنا أن نحب
فقط، لكن يجب علينا أن نعتنق الشوكة أيضا.

جبران يفسر ويوضح:

" كل هذا تصنعه المحبة بكم لكي تدركوا
قلوبكم، فتصبحوا بهذا الإدراك جزءا من قلب الحياة.
غير أنكم إذا خفتم وقصرتم سعيكم على
واللذة في المحبة. . .

فالأجدر بكم أن تستروا عريكم وتخرجوا من
المحبة إلى العالم البعيد، حيثما تضحكون، ولكن ليس كل
ضحككم، وتبكون، ولكن ليس كل ما في مآقيكم
الدموع"²³⁹.

عندما نحن نحب بدون شرط سنعرف بأننا
الحياة إلى أكملها. وهكذا حينما نعيش ونحب بشروط
سنعرف أن حياتنا وعالمنا محدودة قصيرة. ويصف
جبران السبيل إلى الحياة الكاملة، أن هذا الطريق هو أن

²³⁹ النبي : جبران ص 37

يحب بالكمال بدون إرادة أي شيء. وهذا الحب الذي ينكر
الذات سيمكن الإنسان أن يضحك بمودة ويبكي بقناعة.
وأيضاً يعلن جبران بأن الحب كلتا الوسائل والنهاية.

" المحبة لا تعطي الا نفساً

نفسها. المحبة لا تملك شيئاً، ولا تريد أن يملكها

لأن المحبة مكتفية بالمحبة"²⁴⁰

يبدو أن ميخائيل نعيمة يوضح أقوال جبران عندما

يقول: " ما من محبة مستطاعة إلا محبة الذات. وما

ذات حقة إلا ذات الله، التي هي الوجود بكامله. لذلك كان

الله محبة صافية لأنه يحب ذاته"²⁴¹.

إن المحبة التي كافية إلى نفسه هي

الحقيقية. وهذه الفكرة هي نفسها الذي يعبر جبران:"

الحب لم يمتك ولا يمتك، عندما يبحث الإنسان المحبة،

وهو يفتش نفسه الكاملة، هي ذات الله.

ما دام لكم في المحبة عذاب دمتم بعديين عن ذاتكم

الحقة، وعن مفتاح المحبة الذهبي. فأنتم ما

²⁴⁰ المرجع السابق ص 37

²⁴¹ كتاب مرداد : نعيمة ص 635

المحبة إلا لأنكم تحبون ذاتنا موهومة تتغير وتتنقل
كالظل. فمحبتكم موهومة وهي كذلك تتغير
كالظل.²⁴²

وأيضاً يضع جبران نفس الفكرة
مختلف. يقول بأن الحب سيعرضك إلى كل أنواع المحب
حتى تكتشف الحقيقة.

" كل هذه تصنع المحبة بكم لكي تدركوا

قلوبكم، فتصبحوا بهذا الإدراك جزء من قلب الحياة."²⁴³

أنظر كيف يؤكد ميخائيل نعيمة على الاكتفاء الذاتي

بأن الحب يتمتع به:

" ليس المحبة بفضيلة، إنها لضرورة

ضرورة الخبز والماء والنور والهواء. فحذار أن يفخر

بمحبتته. بل عليكم أن تتنفسوا المحبة غير مفكرين

وبمثل السهولة التي تتنفسون بها الهواء. إذ

المحبة في حاجة إلى من يشيد بها ويرفعها. فهي ترفع

²⁴² كتاب مرداد : نعيمة ص 635

²⁴³ النبي : جبران ص 36

القلب الذي تجده أهلاً لها. لا تطلبوا ثواباً للمحبة. ففي المحبة ثواب المحبة. مثلما في البغض عقاب للبغض".²⁴⁴

المحبة بين المرأة والرجل

"إن محبة الرجل للمرأة والمرأة بمحبة. إن هي إلا رمز بعيد إليها. كذلك ليست محبة الوالدين للولد إلا العتبه لهيكل المحبة الأقدس. فإلى أن يصبح كل رجل حبيب كل امرأة، والعكس بالعكس، الرجال والنساء يتبحون بانجذاب اللحم إلى والاتصاق العظم بالعظم من غير أن يتلفظوا باسم المحبة القدوس. لأن في ذلك تجديفاً وكفراً"²⁴⁵

يقول ميخائيل نعيمة

والمرأة. ويعلن إلى أي حد تكون المحبة خالصة وصافية. ويستهزئ المحبة التي تتعلق بالعلاقة الجسدية يقول:

²⁴⁴ كتاب مرداد : نعيمة 634
²⁴⁵ كتاب مرداد : نعيمة ص 634-635

" رجل بني سجننا بحب المرأة. والمرأة بنت سجننا بحب الرجل، على حد سواء غير صالح لتاج حرية الثمين. لكن الرجل والمرأة جعلاً كما هو واحد من قبل الحب. . . نساء أكثر ورجال أكثر هكذا يديمون عبوديتهم اللحم" ²⁴⁶

يستهنن ميخائيل نعيمه المحبة التي تخلق عبود من الناس. يقول، يجب على المحبة أن تحرر ولا تستعبد. ويستهنزاً ميول الإنسان لوضع حاجته الجسدية ويهمل النعمة الضرورية للرابطة الروحية التي توجد بين والمرأة.

وأفكار جبران مماثلة بشكل مدهش بهذا الصدد. وإذا نعتبر أفكاره التالية سيكون واضحاً أن جبران ونييمه يصوران نفس الأفكار ومع ذلك نرى لمس في شكلهم الفردي الخاص.

" أحبوا بعضكم بعضاً، ولكن لا تقيدوا بالقيود، بل لتكن المحبة بحراً متموجاً بين

²⁴⁶ كتاب مرداد : نعيمه ص 637

نفوسكم- ليملاً كل واحد منكم كأس رفيقه، ولكن لا
تشربوا من كأس واحدة، أعطوا من خبزكم كل
لرفيقه ولكن لا تأكلوا من الرغيف الواحد...

غنوا وارقصوا معاً، وكونوا فرحين أبداً،
فليكن كل منكم وحده، كما أن أوتار القيثارة يقوم كل
واحد منها وحده، ولكنها جميعاً تخرج نغماً واحداً. " ²⁴⁷

الصلاة

نرى أن جبران ونعيمه يمثلان في كل
فكرة وحدة الوجود. يتكلم نعيمه في كتابه مرداد
الصلاة:

" عبثا تصلون، ما دمتم تتوجهون بصلاتكم إلى
غير أنفسكم.

ففيكم القوة الجاذبة، وفيكم القوة الدافعة. مثلما
فيكم كل ما تبتغون، جذبه إليكم..."²⁴⁸

نسمع من كنوز جبران فيما يتعلق بالصلاة:

" لا استطيع أن أعلمك الصلاة بالألفاظ. لأن
يصغى إلى كلماتك ما لم يضعها، تعالى اسمه، على
شفتيك وينطق بها بلسانك..."²⁴⁹

يقول ميخائيل نعيمه:

²⁴⁸ كتاب مرداد : ميخائيل نعيمه 634

²⁴⁹ النبي : جبران ص 106

وأين هو الله، حتى تصرخوا في أذنه مختلف
 أهوائكم وأباطيلكم، وتسايحكم وشكاويكم؟ أليس
 فيكم وحواليكم؟ أليست أذنه أقرب إلي فمكم من
 لسانكم إلى حلقكم؟

لا تحملوا إلى الله مشاكلكم ومتاعبكم التي لا
 ولا تتضرعوا إليه أن يفتح لكم
 أعطاكم مفاتيحها"²⁵⁰.

طبقا لوجهات النظر أعلاه، لا يدرك الله كشخص
 الذي يجلس في الفضاء البعيد ويقرر أو يرفض طلباتنا.
 هو ضمنا. عندما نحن نصلي صلواتنا موجهة،
 ظاهريا لكن داخليا. انظر كيف يعيد تأكيده:

" إنكم لفي غني عن شفة أو لسان للصلاة، ولكنكم

في حاجة إلى قلب صامت مستيقظ
 متسلطنة، وفكرة متسلطنة، والأهم من ذلك
 إرادة متسلطنة لا تعرفه الشك ولا التردد. فلا نفع لكم
 من الكلام ما لم يكن القلب مستيقظا وحاضرا
 مقطع من كل كلمة. ومتى استيقظ القلب وحضر كان

²⁵⁰ كتاب مرداد : نعيمه 648

من الأفضل للسان أن ينام أو أن يختبئ وراء شفاه

مختومة."²⁵¹

ويوضح النبي ميكانيكا فعل الصلاة: "إذا صليت

فأنت ترتفعين بروحك، لكي تجتمعي في تلك الساعة

بأرواح المصلين الذين لا تستطيعين أن تجتمعين

بغير الصلاة."²⁵²

²⁵¹ المرجع السابق، ص 650

²⁵² النبي : جبران 155

الباب الرابع

اعتقاد جبران ونعيمه في التقمص

إذا بحثنا عن معظم أساطير العالم مثل اليونانية والهندوكية ومصر، نرى أنها لا تخلو من اعتقاد تناسخ الأرواح. والكتب الهندوكية مثل 'فيدا' و'بغودا' وبغوت غيدا، قد منحت اهتماما شديدا لهذه العقيدة من سائر أساطير العالم. يقول بغوت غيدا:

" الروح تتقمص من جسد إلى آخر

كما يترك الإنسان ثوبه القديم

ليتقمص بالجديد"²⁵³

وبغوث غيدا يعلم أن حياة الإنسان لا تنتهي واحدة، بل انها حلقة في سلسلة الحياة المتتابعة. وروح الإنسان تسافر من جسد إلى جسد آخر، حتى أن الروح الحقيقة أي الروح الخالق. فيكون الإنسان في السعادة الحقيقة. لأن روحه تترك جسده لتتقمص بجسد آخر كما يترك الإنسان ثوبه القديم لأن يلبس ثوبا

وعندما نحلل حياة جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ومولفاتهما، نرى أن هذان الفنانان قد تأثرا باعتقاد التقمص، وليس هذا الاعتقاد أمراً جيداً، أخذنا هذه الفلسفة من الآخرين، وكما نعرف أن عقيدة التناسخ الأرواح مقبولة ومعروفة في الهندوكية وملايين من الناس يعتقدون في اعتقاد التقمص، يروي ميخائيل نعيمة حادثة من حياة جبران خليل جبران-

" لا تقولي مصادفات يا ماري، الحياة لا المصادفات، في الكون خيوط لا تحصى، يتألف منها نسيج الكون الواحد، وحياتك وحياتي خيطان في النسيج السرمدى يتباعدان ثم يتقاربان ثم يتعانقان..."

" لقد كنت ضائعا بين الموت والحياة، وكنت فكرت في العلاقات البشرية أشعر كأني في سراديب من الطلاسم، أما في التناسخ فقد وجدت مفتاح الحياة والموت ومصباحا ينير لي سراديب العلاقات الناس..."²⁵⁴.

²⁵⁴ جبران خليل جبران : ميخائيل نعيمة، ص 95

ويبدو أن فلسفة التقمص لم تكن تتردد عند جبران خليل جبران، وكان يؤمن فيها بثبوت. وكان جبران يعتقد فيها لأنه قد يجد عزاء عن أمانيه التي حياته. أو كان يتساءل نفسه كما يتساءل في قصيدته فرقة الشيوخ: " يا زمان الحب هل يغني الأمل النفس عن ذكر العهود".

وكان ميخائيل نعيمة يسأل في نفسه "عن الحياة ومعناها، والموت وما بعده وعن الكون العجيب الشاسع اللامتناهي، والغاية من وجوده بكل ما فيه من تحصي ولا تستقر على حال" ²⁵⁵. ويفسر نعيمة في سيرته الذاتية عن حادثة التي التقى فيها الاستكتلندي الذي ينتمي إلى جمعية "التيوصوفية". وهذه الجمعية التي استمدت مبادئها من الصوفية حلت له بعض ما كان في صدره من القلق. ومن مبادئها " التقمص" و " ميزان الثواب والعقاب" ²⁵⁶.

فالتقمص حل مشكلة الموت، لأن كل من يعود بعد فترة من الزمن، فيولد من جديد. " كما تفعل

²⁵⁵ سبعون : ميخائيل نعيمة ، ص 43

²⁵⁶ المرجع السابق ، ص 45

الحبة بالتمام، فهي تموت لتولد حبة من جديد... في
جسد جديد يهياً لك حسبما تقتضيه أعمالك، وميلوك،
ومواهبك وعلاقاتك التي حملتها معك عند
حياتك الحاضرة!"²⁵⁷

نرى أن ميخائيل نعيمة وجبران جردان
التقمص ملجأ وعزاء لآمالهم غير متكاملة. يقول جبران:
"أن دورة الحياة لا تنتهي بعمر واحد
نحن نطلب الكمال، نحن نفتش عن الله، فمن ذا يجد الله
في عشرين سنة أو في مائة، أو في ألف؟ وكنتم
فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون!" هكذا
قال نبي العرب، وهكذا قال الأنبياء في الشرق. في
الهند والصين واليابان مئات من الملايين الذين يؤمنون
بتجديد الحياة الفردية قروناً تلو قروناً"²⁵⁸.

يوضح جبران خليل جبران عن سلسلة الحياة
حياة الإنسان حلقة معينة في سلسلاتها. ويستنتج
جبران خليل جبران القرآن الكريم ويروي آية كريمة

²⁵⁷ المرجع السابق، ص 46
²⁵⁸ جبران خليل جبران: ميخائيل نعيمة.

: " وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه
ترجعون" ²⁵⁹.

ويقول نعيمه عن التقمص:

" فالعقيدة قد جعلت العمر حركة موصولة تتخللها
فترات التي ندعوها الموت" ²⁶⁰

يرى نعيمه أن الموت فترة تقع بين حياتين. لأن
العمر حركة موصولة تتخللها الموت. يقول نبي جبران
لأهل أورفليس.

" أجل أنني سأرجع مع المد، فإن حبني الموت
عنكم الآن، وضمني الصمت العظيم بين طيات سكينته
فإنني سأنشد إدراككم مرة أخرى" ²⁶¹

وهذا الذي ينشد مرداد نعيمه عندما مات والد
أصحابه:

" أن قطعة من الخشب كانت جذعا
شجرة، أم وتدا يابساً في حائط، تبقى خشبة

²⁵⁹ آية 28 ، سورة البقرة، القرآن الكريم

²⁶⁰ سبعون : ميخائيل نعيمه

²⁶¹ النبي : جبران خليل جبران ، ص 123

للتحول إلى أن تلتهمها النار التي في جوفها. كذلك
 الإنسان يظل إنسانا حيا كان أم ميتا إلى أن يفهم وحدته
 مع الواحد الاحد. لكن ذلك لا يتم له في
 الزمان التي تعود الناس أن يدعوها عمرا. أن كل الزمان
 لعمر واحد، يا رفاقي"²⁶².

يؤكد جبران خليل جبران أيضا أنه سيرجع إلى
 العالم مرة ثانية:

" وإذا لم يكن كافيا لسد حاجتنا، فإننا نأتي
 إلى هذا المكان، نمد أيدينا معا لمن أعطانا
 تنسوا أنني سأتي إليكم مرة أخرى. فلن يمر زمن
 حتى يشرع حنيني في جمع " الرمل والزبد" لجسد آخر.
 قليلا ولا تروني، وقليلا وتروني لأن امرأة أخرى
 ستلدني"²⁶³.

يعلن جبران خليل جبران أنه سيرجع إلى هذا العالم
 مرة ثانية لسد حاجته. وهو يعتقد أن حنينه يبدأ أن
 التراب لجسد آخر. وبعد قليل ستنبت حياته

²⁶² كتاب مرداد : ميخائيل نعيمة ، ص 673

²⁶³ النبي : جبران خليل جبران ، ص 136

**امراة أخرى- لأن الموت ليس النهاية- والولادة ليست
بداية-**

وكذلك لم يختلف نعيمه من جبران خليل جبران في
 اعتقاد فلسفة خلود النفس. قد جهد في نشره وشعره أن
 يرقى هذه الفلسفة. وروايته 'لقاء' وشعره
 الجماجم " مثالان واضحان لفلسفته هذه. وهكذا في
 بعض أحاديثه مع الصحافة مثل 'جريدة الأنوار' قد
 إيمانه بالتقمص. وهو يقول:

" والحد الذي بلغته الآن في تفكيري يعطيني
 يشبه اليقين، بأن في استطاعة الإنسان أن
 أسرار كل الكون وأن يسلط على كل قواه فيصبح
 لا مخلوقاً ولكن ليتم له ذلك، لا بد له من فسحة
 بكثير من عمر واحد، وزمان كله هو الفسحة المعدة
 ليبلغ غايته، لذلك تراني اعتنق عقيدة التقمص"²⁶⁴.

²⁶⁴ المجموعة الكاملة : ميخائيل نعيمه ، الجزء التاسع ، ص 53

Mohammed Ali Askar, K. “A Comparative study of Gibran Kahlil Gibran with Michael Naimy”. Thesis, Department of Arabic, University of Calicut, 2008

خاتمة

وإذا نظرنا إلى جبران خليل جبران وميخائيل من الناحية الأدبية نراهما سلكا مسلكا جديدا، وفتح آفاقا جديدة. ونالا القدر المعلى في الحياة الأدبية. فإنهما خالفا القدامى في جميع أشكالهما وأتيا عظيمة حيث جدا القالب، وجددا الأسلوب، وجددا الفكرة والفلسفة. وكلاهما سواء بسواء ولو تفرقا الأسلوب، وتفرقا في الادب. لكن فكرتهما وفلسفتهما واحدة وآراؤهما في الديانة واحدة.

إذا نظرنا إلى شخصية جبران خليل الناحية الأدبية، فنرى أن كتابه ' النبي ' عصارة فلسفته وفنه. نعرف أن لكل فنّان أو شاعر أو كاتب ذروة. إذا هو بلغها تعذر عليه أن يسمو فوقها. فكان كل ما سبقها درجات ترقى إليها، وكل ما جاء بعدها درجات منها. وإذا تأملنا عن آثار جبران الأدبية من مقالته الأولى ' الموسيقي ' الذي افتتح بها حياته الأدبية، وحتى التائه الذي اختتم به تلك الحياة، لا أتردد

القول بأن ' النبي ' كان الذروة العليا في ذلك النتاج، وأن كل ما كتبه جبران خليل جبران قبل ' النبي ' وبعده يكن إلا خطوة إلى تلك الذروة.

كذلك نرى في حياة ميخائيل نعيمة، أنه ذروته عندما كتب كتابه ' مرداد '، وأن كل ما كتبه قبل ' كتاب مرداد ' لم يكن الا تمهيدا لهذا الكتاب الأعلى، الذي قد أظهر فيه نعيمة فلسفته بواسطة بطل الكتاب اسمه ' مرداد '، وقد أعلن فيه آراءه عن الحب والمحبة والدين والكون والخالق والمخلوق والإنسان والإنسانية والإله والألوهية، والصلاة والحياة والموت والحياة بعد الموت والحلم والحقيقة وغيرها كما كتب جبران خليل جبران في كتابه ' النبي ' هذه الأمور وغيرها التي تتعلق بحياة الإنسان والكون.

إذا فتشنا جوهر الدين دون قشوره ، جبران وميخائيل نعيمة يقفان في طليعة المؤمنين العقائد والمذاهب المنتشرة في العالم اليوم، كما جميع نظمه الإجتماعية، قشور يابسة ممثلة من التقاليد الفاسدة. وكان جبران ونعيمة في صفوف المجاهدين

الذين يدفعون الأكليركية ويدعون إلى التيارات
الروحية.

ما كان جبران خليل جبران كافرا، وما كان ميخائيل
نعيمه كافرا، بل كانا مؤمنين صادقين في دينهما،
يعتقدان أن الديانة كل ما هي في الحياة من
والتأملات. وربما يوجد فرق بين دينهما ودين الرهبان،
كالفرق بين دين يسوع ودين الفريسيين الذين
يقولون إنه قد أصاب به شيطان. وكان جبران يعتقد
بمبدأ البروستانتية في حرية تفسير الإنجيل في مواجهة
سلطة الكنيسة. ونسطيع لنا أن نرى هذه الفكرة
جبران - على الأقل - في قصتيه التين كتبها جبران
بالعربية، أولهما في مجموعته 'عرائس المروج'،
قصة 'يوحنا المجنون' والثاني هي قصة 'خليل الكافر'،
وقد ضمتها مجموعته 'الأرواح المتمردة'. وكذلك
نعيمه قد أظهر تألمه من الأديان، خاصة من المسيحية،
التي جعلت الشبهات والأوهام حول الله من غير
وحقيقة.

وجبران يصور فكره قبل أن يعبر عنه بالألفاظ، لأنه

من نوابغ المصورين. وكان جبران خليل جبران مفكرا
وشاعرا، فكل عبارة تخرج من شفثيه مليئة
والشعر. هكذا كان ميخائيل نعيمة مفكرا وشاعرا. ولكن
نعيمة كان أكثر واضحا في فكره من جبران.

وهكذا نرى أن جبران خليل جبران ونعيمة
عيشة واحدة إلى حد كبير. وكانا يهيمنان في واد
ولم يتزوجا أبدا. ويعتقدان أن شريعة الحب
شريعة الناس والحب باب مفتوح لكل رجل ولكل امرأة.
وأنهما يعلنان أن عقد الزواج فاسد، ولكن جبران
جبران قد حاول مرة أن يتزوج وعرض نفسه على
هاسكل، فرفضت لأنها كانت تعرف أمراضه وصحته.
ولكن لم تعرف الأسباب التي منعت الزواج بالآخريات،
مع أن النساء اللاتي يتعلقن به كثيرات. وقد تعب
من الوحدة فعاش وحيدا ومات وحيدا.

وكذلك لم يتزوج ميخائيل نعيمة. ولم يكن أي
في ذلك، مع كثير من غراماته من النساء المتزوجات.
فذكر كلها في كتابه ' سبعون' - ومن الأسف

الأحيان غلبت عليهما الشهوة الجنسية حتى أدت إلى
 علاقة جسدية مع حبيباتهما مع أنهما صاحبا
 الحب الافلاطوني. ولهذا اني أرى ان فلسفتهما تخالف
 حياتهما في بعض الأحيان.

وقد تأثر جبران وميخائيل نعيمة بالأدباء الغربيين
 مثل نيتشه ووليام بلايك. وقد اتخذ جبران قالب كتاب
 نيتشه ' هكذا يتكلم زرادشت' في كتابه 'النبي'. وبطل
 'المصطفى' في 'النبي' يشابه بطل 'هكذا
 زرادشت'. ولكن لم يتخذ جبران خليل جبران فلسفة
 نيتشه. لأن فلسفة نيتشه كانت مبنية على الغضب.
 وفلسفة جبران مبنية على الحب. وقد أعلن نيتشه
 كتابه 'هكذا يتكلم زرادشت' "إن الله قد مات"²⁶⁵.
 جبران كان يعتقد أن الله هو الوجود ويدعو
 بطريقة الحب والمحبة. وهكذا تأثر نعيمة
 الروسية مثل ' ليو تولستاي' و'ماكسم غوركي' و'
 دستيو فيسكي' وغيرهم من أرباب الأدب الغربي.

²⁶⁵ Thus Spoke Zarathustra, Nietzsche, Translated by R.J Hollingdale, New York, Penguin Classics, 1982. P.41

ومع هذا نرى اختلافات بين جبران ونعيمه في
الأسلوب والأدب. وأسلوب جبران أسلوب منفرد ممتاز لا
مثيل له في الأدب العربي من حيث الحلاوة والتجدد
التركيبي في إيجاد المعاني والفكرة. ولكن أسلوب
نعيمه يختلف من أسلوب جبران . وكان نعيمه يميل
ألفاظ السهلة والسذاجة. وأدبه جميل مملوء بالفصاحة
والبلاغة لكنه أقل شعرية من جبران . وهكذا نرى
والتشابه معا في فلسفة جبران ونعيمه وأسلوبهما
ونظراتهما إلى الحياة. ونرى أن عصارة الفلسفة
الشرقية موجودة في أفكار جبران خليل
وميخائيل نعيمه.

المراجع

المراجع العربية

- (1) أبو هلال العسكري :
كتاب الصناعتين، مطبعة محمد علي صبيح، مصر،
دون تاريخ
- (2) إحسان عباس :
تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دون تاريخ
- (3) إدفيل شيوب :
ذكريات مع جبران - باريس، دار الأحد، بيروت،
1957م
- (4) إسماعيل عز الدين :
الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي،
1966م
- (5) أنيس المقدسي :
الفنون الأدبية وأعلامها، دار الفكر العربي،
1982م
- (6) برباره يونغ :
هذا الرجل من لبنان- جبران خليل جبران، ترجمة
- سعيد عفيف بابا، مطبعة صفدى التجارية،
بيروت، 1953م.
- (7) الجاحظ :
البيان والتبيين، مطبعة الإستقامة، مصر، 1956م
- (8) جبران خليل جبران :
المجموعة الكاملة، دار الصادر، بيروت، 1966
- (9) جبران خليل جبران :

- النبي، دارالكتاب العربي، بيروت، 1997.
- (10) جورج زيدان :
أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية : الطبعة
الثالثة، 1964
- (11) جورج يزبك :
بيروت في التاريخ، 1923م.
- (12) دكتور خليل حاوي :
جبران خليل جبران، دار العلم للملايين، بيروت،
1982
- (13) الدكتور شوقي ضيف :
فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، مصر،
1971م
- (14) طه حسين :
حديث الأربعاء، الطبعة الثالثة عشرة، دار
المعارف، مصر، 1982م
- (15) الدكتور فوزي عطوي :
جبران خليل جبران - عبقرى من لبنان، الشركة
اللبنانية للكتاب، بيروت، 1971م
- (16) الدكتور محمد الكتاني :
الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي
الحديث
- (17) سعيد فارس باز :
جبران خليل جبران - إطارة الحضارى، شخصيته
وأثاره
- دار العلم للملايين، بيروت، 1982م
- (18) سميحة كريم :

**مي زيادة، كاتبة العربية، الدار المصرية اللبنانية،
القاهرة، 1999م.**

(19) شيوري شودري:

مدرسة الديوان، جامعة دهلي بالهند، دهلي، دون

تاريخ

- (20) عباس إحسان ومحمد نجم :
الشعر العربي في المهجر الأمريكية الشمالية،
دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1957م
- (21) عبد القاهر الجرجاني :
دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المنار،
القاهرة
- (22) عبيد العزيز النعماني :
جبران خليل جبران - بين التمرد ومصالحة النفس،
الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997م
- (23) عسان خالد:
في ذكرى جبران- اتجاهات جبران خليل جبران
الفلسفية،
مكتبة لبنان، بيروت، 1981م.
- (24) قيس أحمد :
تاريخ الشعر العربي الحديث، 1971م
- (25) الكونت فيليب دي طرازي :
تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بيروت،
1912م
- (26) مارون عبود :
رواد النهضة الحديثة، دار صادر، بيروت، 1952
- (27) محمد غلاب :
التصوف المقارن، مطبعة نهضة، مصر، 1956م
- (28) مسعود حبيب :
جبران حيا وميتا، دار الريحاني، بيروت، 1966

- (29) موريه، س :
- (30) الشعر العربي الحديث- تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدبي الغربي، ترجم وعلق عليه الدكتور شفيق السيد والدكتور سعد مصلوح، درا الفكر العربي، القاهرة، 1986م.
- (31) ميخائيل نعيمة :
البيادر، دار المعارف، مصر، 1969
- (32) ميخائيل نعيمة :
السبعون، حكاية عام،، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، 1959.
- (33) ميخائيل نعيمة:
الغريبال، دار صادر، بيروت، 1964م
- (34) ميخائيل نعيمة:
جبران خليل جبران ،، بيروت، مؤسسة نوفل، 1978م.
- (35) ميخائيل نعيمة:
دروب، دار العلم للملايين ، بيروت، 1954م.
- (36) ميخائيل نعيمة:
زاد المعاد، مصر، مطبعة المقطف والمقطم ،
دون تاريخ
- (37) ميخائيل نعيمة:
سبعون، حكاية عمر، دار صادر للطباعة والنشر،
بيروت، 1959
- (38) ميخائيل نعيمة :

- كتاب مرداد، الترجمة العربية، مكتبة صادر،
بيروت، 1952م.
- (39) ميخائيل نعيمة :
كرم على درب، دار المعارف البيدار، مصر، دون
تاريخ
- (40) ميخائيل نعيمة :
مذكرات الأرقش، مطبعة المناهل، بيروت، دون
تاريخ
- (41) ميخائيل نعيمة :
البيادر مصر، دار المعارف، 1945م
- (42) وديع ديب :
الشعر العربي في المهجر الأمريكي، دار اليحاني
للطباعة والنشر، بيروت، 1955م

المراجع الإنجليزية

1. Alfred. John :
Dictionary of Quotations, New light Publishers, New Delhi, 1981
1. Annie Salem Otto :
The Parables of Kahlil Gibran, The Citadel Press, New York, 1963
1. Antony R. Ferris:
A Second Treasury of Kahlil Gibran, The Citadel Press, 1962
1. Badavi M.M :
A Critical Introduction to Modern Arabic Poetry,
Cambridge University Press, 1975
1. Badavi M.M :
Modern Arabic Literature, Cambridge University Press, 1992
1. Bakthi Vedantha Swami Prabu Pada :
Sreemath Bagavat Gita (Abridged Edition),
Bakthi Vedantha Book Trust, Bombay, 1968
1. Bakthi Vedantha Swami Prabu Pada :
Sreemath Bagavat Gita (Completed Edition),
Bakthi Vedantha Book Trust, Bombay, 1978
1. Bakthi Vedantha Swami Prabu Pada :
Sreemath Bagavatham - 10 Candams, 50 Volumes,
Bakthi Vedantha Book Trust, Bombay, 1972
1. Baktivedandha Swami Prabu Pada A.C :
Coming back, The science of Reincarnation,
The Bakti Vedanta Book Trust, Los Angels, 1984
2. E.H Winfield :
Teachings of Rumi, Abridged and Translated by E.H Winfield,
with an introduction by Idries Shah, London, The Octagon Press, 1971
1. Gibran Kahlil Gibran :
Greatest works of Kahlil Gibran,
Jaico Publishing House, Mumbai, 1999
1. Henry Thomas and Dana Lee Thomas:
Living Biographies of Great Philosophers,
Bharathiya Vidya Bhavan, Bombay, 1951
1. Hitty P.K :
Lebanon In History, Macmilan, New York, 1957
1. James K Feibleman :

- Understanding Philosophy, Jaico Books, Bombay
1. Janashwari :
Bagavath Gita, Interpretation Janaswari,
Translated by M.P Chandrashekharan Pillai, Ananthasramam,
Kanjangad, 1994
 3. Jibran Khalil Gibran:
The Voice of the master, Translated by Anthony Rizcalah Ferris
from the Arabic, Bantam Bookss, New York, 1967
 4. Jibran Khalil Gibran:
A Self Portrait : Kahlil Gibran, Translated by Anthony Rizcalah Ferris
from the Arabic, Bantam Bookss, New York, 1970
 1. Jirbran Khalil Jibran :
The greatest works of Khalil Jibran,
Jaico Publishing House, Mumbai,1999
 1. John A Subham :
Sufism- Its Saints and Shrines, Indigo Books, New Delhi, 1998
 1. Mahdi Ismath :
Modern Arabic Literature, Dairathul Maarif Press,
Omaniya University, Hyderabad, 1983
 1. Nicholson R.A :
Studies in Islamic Mysticism, Adam Publishers, Delhi, 1998
 1. Nietzsche:
Thus spoke Zarathustra, penguin Classics, New York, 1982
 1. Nicholson R.A :
A Literary History of the Arabs, Cambridge University Press, 1969
 1. Omar Khayyam :
Rubaiyyath of Omar Khayyam, Traslated by Edward Fitzgerald,
Rupa Classics, New Delhi, 1991
 1. Sarvat Okash :
Introduction to the Prophet, Darul Maarif, Cairo, 1954
 1. Thakur AS Mayoer:
A Short History of Western Philosophers, Paper Books, 1994
 1. Will Durant, Our Oriental Heritage, Simon and Schuster, New York, 1954

المراجع المليالية

1. Dr. Sayyid Ehtisham Ahmed Nadwi:
Adhunika Arabi Kavitha, Translated by Mohammed Nilambur,
Omni Books, Kozhikkode, 1987
1. Dr. Usha Namboothirippad:
Samooohika Bhasha Vijnanam, Dr. Usha Nampoodirippad, Thiruvananthapuram,
Kerala Basha Institute, 1994
1. Jibran Khalil Jibran :
Snehapoorvam Jibran, Translation Dr.M.M Basheer, Kozhikkode,
P.K Brothers, 1995
1. Jibran Khalil Jibran :
Alanju Thiriyunnavaar (Stories) , Translated by R.Raman Nair,
Mulberry Books, Kozhikkode, 2000
1. Nithya Chaithanya Yathi :
Bagavath Gita Swadhyayam, Kollam, Nithaya chaithanya Yathi,
narayana Gurukulam Foundation, 1986
1. T. Premanandha kumar :
khalil Gibran – Karalil Murivetta Malakha, Imprint Books, Kollam, 1999